

قرّة عيون أهل التوحيد

في شرح قصيدة

معاقل الإشراك والتخديد
كتبه

أبو بكر بن عبده بن عبد الله الحمادي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله الحميد المجيد، لا إله إلا هو المستحق للتوحيد، أرسل رسله لإبطال الشرك والتنديد، وأنزل مهم كتبه فيها الهداية لكل قول وعمل سديد، وأنزل الميزان للعدل بين القريب والبعيد ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥].

ومن أجل التوحيد خلق الله تعالى الخلق ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود: ١٠٥]، وجعل للسعداء جنات النعيم لهم فيها العيش الرغيد، وجعل للأشقياء ناراً تلظى يصلها كل شيطان مريد، ومجرم طريد ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ [٢٣، ٢٤].

﴿أَمَّا بَعْدُ﴾ / فقد طلب مني **الوالد الفاضل عبد الله بن صالح حيدر** - الشاعر الذي شعره كأصناف الجواهر، وكالسحب المواطن، وهي كالحسناء المبرقة، وعلى أهل الشرك صواعق محرقة، وسموم مخنقة، وهي مع ذلك كالألئ المؤنقة لدعاة التوحيد وله محققة - أن أشرح قصيدة "معاقل الإشراف" التي أشبهها بشهب نجوم الأفلاك المرسل على معاقل الإشراف فيصير بها في هلاك.

وهي كالعطر اللائح بأطيب الروائح، فقد نصح فيها الشاعر أنفس النصائح، وحذر فيها من الشرك الذي هو أعظم القبائح.

وقد رغب وفقه الله في شرحها ليعم نفعها ورجاء أن يكتب الله أجرها لناضمها وشارحها فأجبتة لذلك واستعنت بالله على شرحها والآن حين الشروع في ذلك.



نذكر بربك فالأصنام قد عادو ... والدجل يا صاح والإغواء يزداد

الشرح

طلب الشاعر من أهل العلم والنصح أن يذكروا العباد بالله تعالى، أي يذكروا العباد بتوحيد الله تعالى وعبادته، والرب إذا أطلق فالمراد به الخالق الرازق المحيي المميت الذي يستحق أن يعبد كما قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ [الحج: ٤٠] أي الذي نعبد، فإنهم لم يخرجوا من ديارهم من أجل أنهم اعترفوا أن الله هو الخالق الرازق المدبر فإنهم مقرون بذلك كما قال الله تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولَ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [١١] ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنْ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [١٢] ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لِيَقُولَ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [١٣].

وقال: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَقُولَ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [١٥] [لقمان: ٢٥].

وقال: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَقُولَ اللَّهُ قُلِ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُنْسِكَةٌ رَحْمَتَهُ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [٢٨] [الزمر: ٣٨].

وقال: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَقُولَ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [١] [الزحرف: ٩].

وقال: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لِيَقُولَ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [٨٧] [الزحرف: ٨٧].

وقال: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [٣١] ﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصَرِّفُونَ﴾ [٣٢] [يونس: ٣١ - ٣٢].

وقال: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [٨٦] ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [٨٧] ﴿قُلْ مَنْ يَدِينُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُحْيِيهِ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [٨٨] ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ [٨٩] [المؤمنون: ٨٦ - ٨٩].

وهذا يتبين خطأ من زعم من دعاة الشرك أنَّ المشركين الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يعتقدون أنَّ هنالك خالقاً ورازقاً غير الله تعالى، وأنَّ هذا الشرك الذي بعث النبي صلى الله عليه وسلم لمحاربه.

وهذا يتبين أيضاً أنَّ سؤال الملكين للعبد عن قبره بقولهما: "من ربك" أي من معبودك فهو سؤال عن توحيد الألوهية ولهذا يكون الجواب به كما روى البخاري (١٣٦٩) عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((إِذَا أَقْعَدَ الْمُؤْمِنُ فِي قَبْرِهِ أَتَيْ ثُمَّ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿يُشَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾)).

وهناك احتمال آخر في قول الشاعر: (ذكر بربك) أنه يريد بذلك القسم أي أقسم عليك بربك أن تذكر الخلق بتوحيد الله تعالى، وتنهاهم عن الإشراك به.

وقول الشاعر: (فالأصنام قد عادو) أي الشرك الذي هو نظير عبادة الأصنام قد رجع مرة أخرى في هذه الأمة، والصنم ما نحت على صورة إنسان أو حيوان أو غير ذلك، والوثن كل ما عبد من دون الله تعالى من صنم أو قبر أو غير ذلك.

فمراد الشاعر أنَّ حقيقة عبادة الأصنام قد عادت وإن لم يكن الناس قد عبدوا عين الأصنام إذ العبرة بالحقائق، وبيان ذلك أنَّ المشركين في هذه الأزمان عبدوا كثيراً من الأموات ممن يدعون فيهم الخير والصلاح وصرفوا لهم النذور وذبحوا لهم القرابين، وطاقوا حول قبورهم وتمسحوا بها وغير ذلك من العبادات الشركية.

وهذا عين ما كان يفعله أهل الجاهلية مع أصنامهم، وهذه حقيقة عبادة الأصنام، فإنَّ أهل الجاهلية من لدن نوح إلى محمد

عليهما الصلاة والسلام منهم عبد أناساً صالحين كيغوث ويعوق ونسراً كما قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا نَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا

نَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ۚ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا نَزِدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ۝١٤﴾ [نوح: ٢٣ - ٢٤].

وقد نصبوا لهم أصناماً يعبدونها، وهم يريدون بذلك عبادة أولئك الصالحين ولم يكن مقصودهم عبادة مجرد الأحجار.

ومنهم من عبد المسيح ابن مريم عليه الصلاة والسلام وأمه كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ

ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي آلِهَتَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ

قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ۝١٣﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ

أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مِمَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

شَهِيدٌ ۝١٧﴾ [المائدة: ١١٦ - ١١٧].

وقال: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ ۚ وَفِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [المائدة: ١٧].

وقال: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۚ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي لِإِسْرَءِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثَةٌ ۚ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ ۚ وَجِدْ ۚ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ۚ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ۚ أَنْظِرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنْ يُؤْفَكُوا ﴿٧٥﴾ قُلْ أَعْبُدُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾﴾ [المائدة: ٧٢ - ٧٦].

ومنهم من عبد الملائكة كما قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْتُولَاءُ بِإِذَاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سبأ: ٤٠ - ٤١].

فالمشركون الأولون عبدوا أناساً هم خير بكثير ممن يعبداه المشركون في هذه الأزمان وقبلها، وكان مقصودهم في صرف العبادة لهم طلب الشفاعة والتقرب إلى الله تعالى، كما قال الله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَتُولَاءُ شَفَعَتُونَا عِنْدَ اللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يونس: ١٨].

وقال الله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ۚ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾ [الزمر: ٣].

وهذا عين مطلب المشركين في أزماننا، بل زاد المشركون في أزماننا على المشركين الأولين بأنهم عبدوا أناساً من أهل الفجور والقبائح وربما كانوا من السحرة، وربما كانوا ممن يأتون الفواحش، وهكذا مما زاد فيه المشركون في أزماننا على المشركين الأولين أنهم يدعونهم في الرخاء والشدة، وإثماً كان المشركون الأولون يدعون من دون الله تعالى في الرخاء، وأثماً في الشدة

فيخلصون العبادة لله تعالى، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا فَلَمَّا نَجَّكُمُ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ١٧٧﴾ [الإسراء: ١٧٧].

وقال: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَوِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَجَبْنَاهُمْ مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ٢٢٣﴾ فَلَمَّا أَجَبْنَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَتَأَيَّاسُ النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيَكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ٢٢٤﴾ [يونس: ٢٢٢ - ٢٢٣].

وقال: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّيْنَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ٦٥﴾ [العنكبوت: ٦٥].

وقال: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظَّلِيلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّيْنَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْنَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِغَايِبِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ٣٢﴾ [لقمان: ٣٢].

وأما المشركون في أزماننا فإنهم يدعون غير الله في الرخاء والشدة. وهكذا فإنَّ المشركين الأولين ما كانوا يعتقدون فيما يعبدونه جلب الرزق أو الإحياء أو الإماتة ووجد في مشركي زماننا من يعتقد هذا وزيادة فيمن يعبد من دون الله تعالى.

وبهذا يتبين أنَّ الشرك في أزماننا أشد من شرك المشركين مع أصنامهم.

وشبيهه بقول الشاعر هذا قول الأمير الصنعاني رحمه الله في داليته الشهيرة:

أعادوا بها معنى سواع ومثله ... يغوث وود بئس ذلك من ود
وقد هتفوا عند الشدائد باسمها ... كما يهتف المضطر بالصمد الفرد
وكم عقروا في سوحها من عقيرة ... أهلت لغير الله جهلاً على عمد
وكم طائف حول القبور مقبل ... وملتمس الأركان منهم بالأيد

قلت: على أنَّ عبادة الأصنام حقيقة سوف تحصل في هذه الأمة في آخر الأزمان كما روى البخاري (٧١١٦)، ومسلم (٢٩٠٦) عن أبي هريرة، رضي الله عنه، أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَضْطَرَّ أَلْيَاتُ نِسَاءِ دَوْسٍ عَلَى ذِي الْخُلَصَةِ)) وَذُو الْخُلَصَةِ طَاغِيَةُ دَوْسٍ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ.

قال العلامة النووي رحمه الله في [شرح مسلم] (٢٨٧ / ٩):

((أَمَّا قَوْلُهُ: (أَلْيَاتُ) فَيَفْتَحُ الْهَمْزَةَ وَاللَّامَ، وَمَعْنَاهُ أَعْجَازُهُنَّ، جَمْعُ (أَلِيَّةٍ) كَجَفَنَةٍ وَجَفَنَاتٍ، وَالْمُرَادُ يَضْطَرُّنَّ مِنَ الطَّوَافِ حَوْلَ ذِي الْخُلَصَةِ، أَيْ يَكْفُرُونَ وَيَرْجِعُونَ إِلَى عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَتَعْظِيمِهَا)).

❦ روى مسلم (٢٩٠٧) عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: ((لَا يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّى تُعْبَدَ اللَّاتُ وَالْعُزَّى)) . فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُ لِأَظُنُّ حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ أَنَّ ذَلِكَ تَأَمَّا . قَالَ: ((إِنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ رِبْعًا طَيِّبَةً فَتَوَفَّى كُلٌّ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَيَسْقَى مَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ فَيَرْجِعُونَ إِلَى دِينِ آبَائِهِمْ)) .

❦ وقول الشاعر: (فالأصنام قد عادو) صوابها: (عادت) فإن الأصنام مؤنثة.

❦ وقول الشاعر: (والدجل يا صاح والإغواء يزداد)، الدجل هو الكذب، وسمي الدجال دجالاً لكثرة دجله أي كذبه، والصاح هو الصاحب، والإغواء: الإيقاع في الغي، والغى ضد الرشد.

وصدق سدده الله فإن الشرك ما راج وانتشر في الأمة إلا بانتشار الكذب، ودعاة الغواية.

ومن دجلهم وتلبسهم وإغوائهم أنهم سمووا الشرك بغير اسمه فسموه تعظيماً ومحبةً للأولياء والصالحين، ولو سموه شركاً لنفر الناس منه، وتسمية الشيء بغير اسمه هي التي أوقعت كثيراً من الخلق في الشرك وأنواع الباطل، وهذا كما سمي المشركون أصنامهم آلهة، ولو سموها حجارة لنفر من عبادتها كثير من الناس.

❦ قال الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَبْظَاهِرُ مِنْ الْقَوْلِ بَلْ زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الرعد: ٣٣].

❦ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في [مجموع الفتاوى] (١٥ / ١٩٦-١٩٧):

((فَتَأْمَلُ مَا قَبْلَ الْآيَةِ وَمَا بَعْدَهَا يُطْلِعُكَ عَلَى حَقِيقَةِ الْمَعْنَى فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ وَهَذَا اسْتِفْهَامٌ تَقْرِيرٌ يَتَضَمَّنُ إِقَامَةَ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ وَنَفْيَ كُلِّ مَعْبُودٍ مَعَ اللَّهِ الَّذِي هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ يَعْلَمُهُ وَقُدْرَتُهُ وَجَزَائِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . فَهُوَ رَقِيبٌ عَلَيْهَا حَافِظٌ لِأَعْمَالِهَا مُجَازٍ لَهَا بِمَا كَسَبَتْ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ . فَإِذَا جَعَلْتُمْ أَوْلَئِكَ شُرَكَاءَ فَسَمُّوهُمْ إِذَا بِالْأَسْمَاءِ الَّتِي يُسَمَّى بِهَا الْقَائِمُ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ يُسَمَّى بِالْحَيِّ الْقَيُّومِ الْمُحْيِي الْمُمِيتِ السَّمِيعِ الْبَصِيرِ الْغَنِيِّ عَمَّا سِوَاهُ وَكُلُّ شَيْءٍ فَقِيرٌ إِلَيْهِ وَوُجُودُ كُلِّ شَيْءٍ بِهِ . فَهَلْ تَسْتَحِقُّ إِلَهُتُكُمْ اسْمًا مِنْ تِلْكَ الْأَسْمَاءِ؟ فَإِنْ كَانَتْ آلهَةً حَقًّا فَسَمُّوْهَا بِاسْمٍ مِنْ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ؛ وَذَلِكَ بَهْتٌ بَيِّنٌ؛ فَإِذَا انْتَفَى عَنْهَا ذَلِكَ عِلْمٌ بَطْلَانُهَا كَمَا عِلْمٌ بَطْلَانُ مُسَمَّاهَا . وَأَمَّا إِنْ سَمَّوْهَا بِأَسْمَائِهَا الصَّادِقَةِ عَلَيْهَا كَالْحِجَارَةِ وَغَيْرِهَا مِنْ مُسَمَّى الْجَمَادَاتِ وَأَسْمَاءِ الْحَيَوَانِ الَّتِي عَبْدُوهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَالْبَقَرِ وَغَيْرِهَا وَبِأَسْمَاءِ الشَّيَاطِينِ الَّذِينَ أَشْرَكُوهُمْ مَعَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا وَبِأَسْمَاءِ الْكَوَاكِبِ الْمُسَخَّرَاتِ تَحْتَ أَوَامِرِ الرَّبِّ وَالْأَسْمَاءِ الشَّامِلَةِ لِجَمِيعِهَا أَسْمَاءُ الْمَخْلُوقَاتِ: الْمُحْتَاجَاتِ الْمُدَبَّرَاتِ الْمُفْهُورَاتِ . وَكَذَلِكَ بَنُو

آدَمَ عِبَادَهُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فَهَذِهِ أَسْمَاؤُهَا الْحَقُّ وَهِيَ تُبْطَلُ إِهْيَتُهَا؛ لِأَنَّ الْأَسْمَاءَ الَّتِي مِنْ لَوَازِمِ الْإِلَهِيَّةِ مُسْتَحِيلَةٌ عَلَيْهَا؛ فَظَهَرَ أَنَّ تَسْمِيَتَهَا آلِهَةً مِنْ أَكْبَرِ الْأَدِلَّةِ عَلَى بُطْلَانِ إِهْيَتِهَا وَامْتِنَاعِ كَوْنِهَا شُرَكَاءَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ((.

قلت: وهكذا استحلت كثير من المحرمات بتسميتها بغير اسمها فروى أحمد (١٨٠٩٨)، والنسائي (٥٦٥٨) من طريق شعبة عن أبي بكر بن حفص قال سمعت بن محيريز يحدث عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**إِنَّ أَنْاسًا مِنْ أُمَّتِي يَشْرِبُونَ الْخَمْرَ، يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا**)).

قلت: هذا حديث صحيح.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في [إغاثة اللهفان] (١ / ٣٥١):

((فهؤلاء إنما شربوا الخمر استحلالاً لما ظنوا أَنَّ المحرم مجرد ما وقع عليه اللفظ وَأَنَّ ذلك اللفظ لا يتناول ما استحله)).



والشرك ما زال بين الناس منتشراً ... له دعاة وأنصار وأجناد

الشرح

بيّن الشاعر في هذه البيت وجود الشرك في الأرض بل الأمر أعظم من ذلك وهو أنّ الشرك منتشر في الأرض انتشاراً كبيراً، وهناك من يدعو إليه ويزينه في عقول الجاهلين، وهناك من ينصره بالمال وغير ذلك، وهناك من جعل نفسه جندياً له يحارب من أجله، ويضحى بنفسه دفاعاً عنه، لكن كما قال الله تعالى: ﴿ **بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ**

وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ (١٨) ﴾ [الأنبياء: ١٨].

وقال: ﴿ **وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا** (٨١) ﴾ [الإسراء: ٨١].

وفي بيت الشاعر هذه رد على من يقول: تولى شرك القبور، وبقي شرك القصور.

وقائل هذا أحد رجلين: إمّا رجل لا يعرف ما هو الشرك، وإمّا رجل ملبس يريد إضلال الناس وإغوائهم.

وكيف يقال هذا وبلاد الإسلام لا تكاد تخلو قرية من قراه من قبر يعبد من دون الله تعالى تذبح له الذبائح، وتندر له النذور، ويستغاث به عند نزول الشدائد، ويطلب منه المدد والولد.

وأعجب من هذا أنّ هنالك من يحتج على زوال الشرك بما رواه مسلم (٢٨١٢) عَنْ جَابِرٍ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: ((**إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيَسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ**)).

والجواب عن الاحتجاج بهذا الحديث على عدم حصول الشرك من وجوه:

الوجه الأول: أنّ هذا اليأس صادر من الشيطان ولا يلزم أن يوافق الواقع.

وسبب يأسه رؤيته للفتوحات ودخول الناس في دين الله أفواجاً.

الوجه الثاني: أنّ يأس كان عن عبادة جميع أهل الجزيرة له ولا يمنع ذلك حصول العبادة من بعضهم.

الوجه الثالث: أنّ يأسه لم يكن من جميع الناس وإمّا من المؤمنين وهو المرادون بقوله: (**الْمُصَلُّونَ**).

الوجه الرابع: أنّ يأسه من عبادة المصلين دون غيرهم، والمراد بالمصلين من أقاموا الصلاة كما أمرهم الله تعالى فإن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وأعظم المنكر الشرك بالله تعالى.



وما يزال له نهج ومعتقد ... بين الأنام وأشياخ وأسياد

الشرح

بيّن الشاعر وفقه الله أنّ الشرك لا يزال له في الأمة (نهج) وهو الطريق المسلك الذي يسير عليه أرباب الشرك، وقد ألفوا فيه المؤلفات الكثيرة، وقرروا بها قواعده الهزيلة، ورسوموا طريقه المعوج، وذكروا كيف يفعل القادم على المشاهد التي جعلوها للشرك معابد، وهجروا بسببها المساجد، وقرروا أنّ زيارة المشاهد والطواف حولها والاستغاثة بها وتقبيل تربتها، ووضع الجباه لها أعظم في الأجور من زيارة البيت المعمور.

وقول الشاعر: (ومعتقد) المعتقد هو الشيء الذي يعتقد، وأهل الشرك يعتقدون بأصحاب القبور الضر والنفع، وأنّهم يشفعون لهم، ويقربونهم إلى الله زلفى، وأنّهم يغثونهم أعظم من رب السموات والأرض، ويقول: قائلهم قبر فلان هو الترياق الجرب.

ومما ينادى به عباد العيدروس قولهم: يا عيدروس يا محيي النفوس.

ومنهم من يقول: يا عيدروس يا شمس الشموس يا منقذ النفوس.

ويقول بعض أولئك المشركين: يا جيلاني لا تنساني.

وآخر يقول: يا عبد القادر بادر بادر.

ويقول بعضهم: يا ابن علوان يا صفى من قصد بآبكم نجي.

يقول آخر: يا أهمل يا من عليك الله دل.

ويقول آخر: يا أبا طير يا من عندك كل خير ورافع لكل ضير.

ويقول بعض أهل الشرك في مدينة تعز: يا حساني لا تنساني.

وقول الشاعر: (بين الأنام) أي بين الخلق، والأنام الخلق.

وقول الشاعر: (وأشياخ وأسياد) نعم لأهل الشرك أشياخ وأسياد يدعون إلى الشرك ويزينونه، ولهم أشياخ وأسياد يعبدونهم من دون الله تعالى، وهذا موجود في جميع بلاد المسلمين عدا بلاد الحرمين.



فللشيطان كهانٌ طلاسمة ... وللطواغيت نساك وعباد

الشرح

بيّن الشاعر أنّ المشركين منقسمون إلى قسمين:

القسم الأول: من يعبد الشياطين وهم الكهان، والكاهن هو الذي يدعي علم الغيب بواسطة الشياطين، وذلك بأن يتقرب للشياطين بأنواع القرب من ذبح ونذر ويقسم بأسمائهم ويستغيث بهم وغير ذلك من أجل أن ينال منهم ما يريد.

وفي هؤلاء وأمثالهم قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَمْعَشَرُ الْجِنُّ قَدْ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَمَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأنعام: ١٢٨].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في [إغاثة اللهفان] (٢/ ٢٣٧-٢٣٨):

((فاستمتع الجن بالإنس: طاعتهم لهم فيما يأمرهم به: من الكفر والفسوق والعصيان فإنّ هذا أكثر أغراض الجن من الإنس فإذا أطاعوهم فيه فقد أعطوهم مناهم، واستمتع الإنس بالجن: أنّهم أعانوهم على معصية الله تعالى والشرك به بكل ما يقدرون عليه: من التحسين والتزيين والدعاء وقضاء كثير من حوائجهم واستخدامهم بالسحر والعزائم وغيرها فأطاعهم الإنس فيما يرضيهم: من الشرك والفواحش والفجور، وأطاعتهم الجن فيما يرضيهم: من التأثيرات والإخبار ببعض المغيبات فتمتع كل من الفريقين بالآخر.

وهذه الآية منطبقة على أصحاب الأحوال الشيطانية الذين لهم كشف شيطانية وتأثير شيطاني فيحسبهم الجاهل أولياء الرحمن وإنّما هم من أولياء الشيطان أطاعوه في الإشراك ومعصية الله والخروج عمّا بعث به رسله وأنزل به كتبه فأطاعهم في أن خدمهم بإخبارهم بكثير من المغيبات والتأثيرات واغتر بهم من قلّ حظه من العلم والإيمان فوالى أعداء الله وعادى أولياءه وحسن الظن بمن خرج عن سبيله وسنته وأساء الظن بمن اتبع سنة الرسول وما جاء به ولم يدعها لأقوال المختلفين وآراء المتحيرين وشطحات المارقين وترهات المتصوفين.

والبصير الذي نور الله بصيرته بنور الإيمان والمعرفة إذا عرف حقيقة ما عليه أكثر هذا الخلق وكان ناقدًا لا يروج عليه الزغل تبين له أنّهم داخلون تحت حكم هذه الآية وهي منطبقة عليهم.

فالفاسق يستمتع بالشيطان بإعانتة له على أسباب فسوقه والشيطان يستمتع به في قبوله منه وطاعته له فيسره ذلك ويفرح به منه والمشرک يستمتع به الشيطان بشركه به وعبادته له ويستمتع هو بالشيطان في قضاء حوائجه وإعانتة له ومن لم يحط علماً بهذا لم يعلم حقيقة الإيمان والشرك وسر امتحان الرب سبحانه كلاً من الثقلين بالآخر ((.

وقد بيّن النبي صلى الله عليه وسلم حقيقة الكهان فيما رواه البخاري (٥٧٦٢)، ومسلم (٢٢٢٨) عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ سَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَاسٌ، عَنِ الْكُهَّانِ فَقَالَ: ((لَيْسَ بِشَيْءٍ)).. فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُمْ

يُحَدِّثُونَا أَحْيَانًا بِشَيْءٍ فَيَكُونُ حَقًّا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((تِلْكَ الْكَلِمَةُ مِنَ الْحَقِّ يَخْطُفُهَا مِنَ الْجَنِّيِّ فَيَقْرُهَا فِي أُذُنٍ وَلِيٍّ فَيَخْلُطُونَ مَعَهَا مِئَةً كَذِبَةٍ)).

وروى البخاري (٣٢١٠) عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: ((إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَنْزِلُ فِي الْعَنَانِ، - وَهُوَ السَّحَابُ - فَتَذْكُرُ الْأَمْرَ قُضِيَ فِي السَّمَاءِ فَتَسْتَرْقُ الشَّيَاطِينُ السَّمْعَ فَتَسْمَعُهُ فَتُوحِيهِ إِلَى الْكُهَّانِ فَيَكْذِبُونَ مَعَهَا مِئَةً كَذِبَةٍ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ)).

وروى البخاري (٤٧٠١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((إِذَا قَضَى اللَّهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ صَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ كَالسَّلْسَلَةِ عَلَى صَفْوَانٍ يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ فَإِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا لِلَّذِي قَالَ الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرْقُوا السَّمْعَ وَمُسْتَرْقُوا السَّمْعَ هَكَذَا وَاحِدٌ فَوْقَ آخَرَ - وَوَصَفَ سُفْيَانُ بِيَدِهِ وَفَرَّجَ بَيْنَ أَصَابِعِ يَدِهِ الِئْمَنَى نَصَبَهَا بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ - فَرُبَّمَا أَدْرَكَ الشَّهَابُ الْمُسْتَمِعَ قَبْلَ أَنْ يَرْمِيَ بِهَا إِلَى صَاحِبِهِ فَيَحْرِقُهُ، وَرُبَّمَا لَمْ يَدْرِكْهُ حَتَّى يَرْمِيَ بِهَا إِلَى الَّذِي يَلِيهِ إِلَى الَّذِي هُوَ أَسْفَلُ مِنْهُ حَتَّى يُلْقَوْهَا إِلَى الْأَرْضِ، وَرُبَّمَا قَالَ سُفْيَانُ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى الْأَرْضِ - فَتَلْقَى عَلَى فَمِ السَّاحِرِ فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِئَةً كَذِبَةٍ فَيَصْدُقُ فَيَقُولُونَ أَلَمْ يُخْبِرْنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا يَكُونُ كَذَا وَكَذَا فَوَجَدْنَاهُ حَقًّا لِلْكَلِمَةِ الَّتِي سَمِعْتُمْ مِنَ السَّمَاءِ)).

فهذه هي حقيقة الكهان، لا علم لهم بالغيب والغالب في أخبارهم الكذب.

وقد كان الناس في الجاهلية يعظمونهم حتى كان في كل حي كاهن من الكهان يتحاكم الناس إليه، وجاء الإسلام بتحريم الذهاب إليهم وسؤالهم وتصديقهم.

فروى مسلم (١٠٣) عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((مَنْ أَتَى عَرَافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةُ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً)).

وأخبر الله تعالى أنه لا يعلم الغيب إلا هو فقال: ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ

يُبْعَثُونَ ﴾ [النمل: ٦٥].

حتى الجن الذين يستعين بهم الكهان لا يعرفون الغيب كما قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِمْ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُمْ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ [سبا: ١٤].

وقول الشاعر: (طلاسمة) الطلسم في علم السحر خطوط وأعداد يزعم كاتبها أنه يربط بها روحانيات الكواكب العلوية بالطبائع السفلية لجلب محبوب أو دفع أذى وهو لفظ يوناني لكل ما هو غامض مبهم كالألغاز والأحاجي. وأما الطلسم في لغة العرب فله معنى آخر فيقال: طَلَّسَمَ الرجلُ كَرَّهَ وَجْهَهُ وَقَطَّبَهُ. والطلاسم من أعمال السحرة والغالب في هذه الأزمان أن الكهانة مندرجة في السحر، فالسحرة في هذه الأزمان هم الكهان جمعوا بين الكفرين والضلالتين.

وقد التبس أمرهم على كثير من الجاهلين فظنوه من أولياء الله الصالحين أصحاب الكرامات، وإنما هم من إخوان الشياطين، ولا يلتبس أولياء الرحمن بأولاء الشيطان إلا على الضالين العميان.

❦ **والقسم الآخر من المشركين:** من يعبد الصالحين، وهذا هو الشرك الغالب على الأمم منذ زمن نوح عليه الصلاة والسلام إلى هذه الأزمان.

❦ **قال شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله تعالى كما في [مجموع الفتاوى] (١٧/٤٦٠-٤٦١):

((وإنما المقصود أن أصل الشرك في العالم كان من عبادة البشر الصالحين، وعبادة تماثيلهم، وهم المقصودون، ومن الشرك ما كان أصله عبادة الكواكب، إنما الشمس، وإنما القمر، وإنما غيرهما، وصورت الأصنام طلاسماً لتلك الكواكب، وشرك قوم إبراهيم، والله أعلم كان من هذا، أو كان بعضه من هذا.

ومن الشرك ما كان أصله عبادة الملائكة، أو الجن، وضعت الأصنام لأجلهم، وإلا فنفس الأصنام الجمادية لم تعبد لذاتها، بل لأسباب اقتضت ذلك، وشرك العرب كان أعظمه الأول، وكان فيه من الجميع، فإن عمرو بن لحي هو أول من غير دين إبراهيم عليه السلام، وكان قد أتى الشام، ورآهم بالبقاء لهم أصنام يستجلبون بها المنافع، ويدفعون بها المضار، فصنع مثل ذلك في مكة لما كانت خزاعة، ولالة البيت قبل قريش، وكان هو سيد خزاعة، وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "رأيت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف يجر قصبه في النار - أي أمعاءه - وهو أول من غير دين إبراهيم، وسبب السوائب، وبحر البحيرة"، وكذلك والله أعلم شرك قوم نوح، وإن كان مبدؤه من عبادة الصالحين، فالشيطان يجر الناس من هذا إلى غيره، لكن هذا أقرب إلى الناس لأنهم يعرفون الرجل الصالح، وبركته، ودعائه، فيعكفون على قبره، ويقصدون ذلك منه، فتارة يسألونه، وتارة يسألون الله به، وتارة يصلون، ويدعون عند قبره ظانين أن الصلاة والدعاء عند قبره أفضل منه في المساجد، والبيوت)).

❦ **وقال شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله أيضاً (٢٧/٧٩): ((وكان العكوف على القبور والتمسح بها وتقبيلها والدعاء عندها وفيها ونحو ذلك هو أصل الشرك وعبادة الأوثان)).

❦ **وقال رحمه الله تعالى في [الجواب الصحيح على من بدل دين المسيح]** (٥/٧٤): ((لا يوجد قط عن نبي أنه أمر بدعاء الملائكة، والاستشفاع بهم، ولا بدعاء الموتى من الأنبياء، والصالحين، والاستشفاع بهم، فضلاً عن دعاء تماثيلهم، والاستشفاع بها، فإن هذا من أصول الشرك الذي نهى عليه الرسل، وهذا كان أصل الشرك في بني آدم من عهد نوح عليه السلام)).

❦ **وقال العلامة ابن القيم** رحمه الله في [إغاثة اللهفان] (٢/٢٨٦): ((وأصل الشرك وعبادة الأوثان من العكوف على القبور واتخاذها مساجد)).

❦ **وقال رحمه الله أيضاً** (١/١٨٤-١٨٥): ((فقد رأيت أن سبب عبادة ود، ويغوث، ويعوق، ونسراً، واللات، إنما كانت من تعظيم قبورهم، ثم اتخذوا لها التماثيل، وعبدوها، كما أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم.

قال شيخنا: وهذه العلة التي لأجلها نحى الشارع عن اتخاذ المساجد على القبور هي التي أوقعت كثيراً من الأمم إمّا في الشرك الأكبر، أو فيما دونه من الشرك، فإنّ النفوس قد أشركت بتمثيل القوم الصالحين، وتمثيل يزعمون أنّها طلاسّم للكواكب، ونحو ذلك فإنّ الشرك بقبر الرجل الذي يعتقد صلاحه أقرب إلى النفوس من الشرك بخشبة، أو حجر، ولهذا نجد أهل الشرك كثيراً يتضرعون عندها، ويخشعون، ويخضعون، ويعبدونهم بقلوبهم عبادة لا يفعلونها في بيوت الله، ولا وقت السحر، ومنهم من يسجد لها، وأكثرهم يرجون من بركة الصلاة عندها، والدعاء ما لا يرجونه في المساجد ((.

قلت: وكلام شيخ الإسلام هذا موجود في [اقتضاء الصراط المستقيم] ص(٤٣٣).

وقول الشاعر: (وللطواغيت نساك وعباد) فالطواغيت جمع طاغوت، وهو مشتق من الطغيان، وهو مجاوزة الحد.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في [إعلام الموقعين] (١/ ٥٠):

((والطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله أو يعبدونه من دون الله أو يتبعونه على غير بصيرة من الله أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنّه طاعة لله فهذه طواغيت العالم إذا تأملت أحوال الناس معها رأيت أكثرهم من عبادة الله إلى عبادة الطاغوت وعن التحاكم إلى الله وإلى الرسول إلى التحاكم إلى الطاغوت وعن طاعته ومتابعة رسوله إلى الطاغوت ومتابعته وهؤلاء لم يسلكوا طريق الناجين الفائزين من هذه الأمة وهم الصحابة ومن تبعهم ولا قصدوا قصدهم بل خالفوهم في الطريق والقصد معاً)).

وقوله: (نساك) جمع ناسك وهو العابد، والنسك: العبادة. وقد نسك وتنسك، أي تعبد.

وعبادة الطواغيت في الحقيقة أنّها عبادة للشيطان لأنّه هو الأمر بها كما قال الله تعالى: ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْآ﴾

إِنَّا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا ﴿١١٧﴾ [النساء: ١١٧].

وكثير من القبور التي عبدت من دون الله تعالى ليس عند أهلها برهان أنّ ذلك القبر من قبور الأنبياء أو الصالحين بل يعتمدون على الظن الذي هو أكذب الحديث وقد يكون ذلك القبر لبعض اليهود أو النصارى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في [مجموع الفتاوى] (٢٧/ ٤٥٥-٤٦٢):

((وَمِنْ هَذَا الْبَابِ نُقِلَ النَّاقِلُ: أَنَّ هَذَا الْقَبْرَ الَّذِي بِالْقَاهِرَةِ: "مَشْهَدُ الْحُسَيْنِ" رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَلْ وَكَذَلِكَ مَشَاهِدُ غَيْرِ هَذَا مُضَافَةً إِلَى قَبْرِ الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَإِنَّهُ مَعْلُومٌ بِاتِّفَاقِ النَّاسِ: أَنَّ هَذَا الْمَشْهَدَ بُنِيَ عَامَ بَضْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ وَأَنَّهُ نُقِلَ مِنْ مَشْهَدٍ بِعَسْقَلَانَ وَأَنَّ ذَلِكَ الْمَشْهَدَ بِعَسْقَلَانَ كَانَ قَدْ أُحْدِثَ بَعْدَ التَّسْعِينَ وَالْأَرْبَعِمِائَةِ. فَأَصْلُ هَذَا الْمَشْهَدِ الْقَاهِرِيِّ: هُوَ ذَلِكَ الْمَشْهَدُ الْعَسْقَلَانِيُّ. وَذَلِكَ الْعَسْقَلَانِيُّ مُحْدَثٌ بَعْدَ مَقْتَلِ الْحُسَيْنِ بِأَكْثَرِ مِنْ أَرْبَعِمِائَةٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً وَهَذَا الْقَاهِرِيُّ مُحْدَثٌ بَعْدَ مَقْتَلِهِ بِقَرِيبٍ مِنْ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ وَهَذَا بِمَا لَمْ يَتَنَازَعْ فِيهِ أَتْنَانِ يَمُنُّ تَكَلَّمَ فِي هَذَا الْبَابِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ عَلَى اخْتِلَافِ أَصْنَافِهِمْ كَأَهْلِ الْحَدِيثِ وَمُصَنِّفِي أَخْبَارِ الْقَاهِرَةِ وَمُصَنِّفِي التَّوَارِيخِ. وَمَا نَقَلَهُ أَهْلُ الْعِلْمِ طَبَقَةً عَنْ طَبَقَةٍ. فَمِثْلُ هَذَا مُسْتَفِضٌ عَنْهُمْ. وَهَذَا بَيْنَهُمْ مَشْهُورٌ مُتَوَاتِرٌ سَوَاءٌ قِيلَ: إِنَّ إِضَافَتَهُ إِلَى الْحُسَيْنِ صِدْقٌ أَوْ كَذِبٌ لَمْ يَتَنَازَعُوا أَنَّهُ نُقِلَ مِنْ عَسْقَلَانَ فِي أَوَاخِرِ الدَّوْلَةِ الْعَبِيدِيَّةِ. وَإِذَا كَانَ أَصْلُ هَذَا الْمَشْهَدِ الْقَاهِرِيِّ: مَنْقُولٌ عَنْ ذَلِكَ الْمَشْهَدِ الْعَسْقَلَانِيِّ بِاتِّفَاقٍ

النَّاسِ وَبِالنَّثْلِ الْمُتَوَاتِرِ فَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ قَوْلَ الْقَائِلِ: إِنَّ ذَلِكَ الَّذِي يَعْسُقَانِ هُوَ مَبْنِيٌّ عَلَى رَأْسِ الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَوْلٌ بِلا حُجَّةٍ أَصْلًا. فَإِنَّ هَذَا لَمْ يَنْقُلْهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ الَّذِينَ مِنْ شَأْنِهِمْ نَقْلُ هَذَا. لَا مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَلَا مِنْ عُلَمَاءِ الْأَخْبَارِ وَالتَّوَارِيخِ وَلَا مِنْ الْعُلَمَاءِ الْمُصَنِّفِينَ فِي النَّسَبِ: نَسَبِ قُرَيْشٍ أَوْ نَسَبِ بَنِي هَاشِمٍ وَنَحْوِهِ وَذَلِكَ الْمَشْهُدُ الْعَسْقَلَانِيُّ: أُحْدِثَ فِي آحِرِ الْمِائَةِ الْخَامِسَةِ لَمْ يَكُنْ قَدِيمًا وَلَا كَانَ هُنَاكَ مَكَانٌ قَبْلَهُ أَوْ نَحْوَهُ مُضَافٌ إِلَى الْحُسَيْنِ وَلَا حَجَرٌ مَنْقُوشٌ وَلَا نَحْوُهُ مِمَّا يُقَالُ: إِنَّهُ عَلَامَةٌ عَلَى ذَلِكَ. فَتَبَيَّنَ بِذَلِكَ أَنَّ إِضَافَةَ مِثْلِ هَذَا إِلَى الْحُسَيْنِ قَوْلٌ بِلا عِلْمٍ أَصْلًا. وَلَيْسَ مَعَ قَائِلِ ذَلِكَ مَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ مُعْتَمَدًا لَا نَقْلٌ صَحِيحٌ وَلَا ضَعِيفٌ بَلْ لَا فَرْقَ بَيْنَ ذَلِكَ وَبَيْنَ أَنْ يَجِيءَ الرَّجُلُ إِلَى بَعْضِ الْقُبُورِ الَّتِي بِأَحَدِ أَقْصَارِ الْمُسْلِمِينَ فَيَدَّعِي أَنَّ فِي وَاحِدٍ مِنْهَا رَأْسَ الْحُسَيْنِ أَوْ يَدَّعِي أَنَّ هَذَا قَبْرُ نَبِيِّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ مِمَّا يَدَّعِيهِ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكُذِبِ وَالضَّلَالِ. وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ مِثْلَ هَذَا الْقَوْلِ غَيْرُ مَنْقُولٍ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ. وَعَالِبٌ مَا يَسْتَنِدُ إِلَيْهِ الْوَاحِدُ مِنْ هَؤُلَاءِ: أَنْ يَدَّعِي أَنَّهُ رَأَى مَنْامًا أَوْ أَنَّهُ وَجَدَ بِذَلِكَ الْقَبْرِ عَلَامَةً تَدُلُّ عَلَى صَلَاحِ سَاكِنِهِ: إِمَّا رَائِحَةً طَيِّبَةً وَإِمَّا تَوَهُمٌ خَرَقَ عَادَةً وَنَحْوَ ذَلِكَ وَإِمَّا حِكَايَةً عَنْ بَعْضِ النَّاسِ: أَنَّهُ كَانَ يُعْظَمُ ذَلِكَ الْقَبْرَ. فَأَمَّا الْمَنَامَاتُ فَكَثِيرٌ مِنْهَا بَلْ أَكْثَرُهَا كُذِبٌ وَقَدْ عَرَفْنَا فِي زَمَانِنَا بِمِصْرَ وَالشَّامِ وَالْعِرَاقِ مَنْ يَدَّعِي أَنَّهُ رَأَى مَنْامَاتٍ تَتَعَلَّقُ بِبَعْضِ الْبِقَاعِ أَنَّهُ قَبْرُ نَبِيِّ أَوْ أَنَّ فِيهِ أَثَرَ نَبِيِّ وَنَحْوَ ذَلِكَ. وَيَكُونُ كَاذِبًا وَهَذَا الشَّيْءُ مُتَشَتِّرٌ. فَرَأَيْتُ الْمَنَامَ غَالِبًا مَا يَكُونُ كَاذِبًا وَبِتَقْدِيرِ صِدْقِهِ: فَقَدْ يَكُونُ الَّذِي أَخْبَرَهُ بِذَلِكَ شَيْطَانًا. وَالرُّؤْيَا الْمَحْضَةُ الَّتِي لَا دَلِيلَ يَدُلُّ عَلَى صِحَّتِهَا لَا يَجُوزُ أَنْ يَثْبُتَ بِهَا شَيْءٌ بِاتِّفَاقٍ. فَإِنَّهُ قَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "الرُّؤْيَا ثَلَاثَةٌ: رُؤْيَا مِنَ اللَّهِ وَرُؤْيَا مِمَّا يُحْدِثُ بِهِ الْمَرْءُ نَفْسَهُ وَرُؤْيَا مِنَ الشَّيْطَانِ". فَإِذَا كَانَ جِنْسُ الرُّؤْيَا تَحْتَهُ أَنْوَاعٌ ثَلَاثَةٌ. فَلَا بُدَّ مِنْ تَمْيِيزِ كُلِّ نَوْعٍ مِنْهَا عَنْ نَوْعٍ. وَمِنْ النَّاسِ - حَتَّى مِنْ الشُّيُوخِ الَّذِي لَهُمْ ظَاهِرٌ عِلْمٌ وَزُهْدٌ - مَنْ يَجْعَلُ مُسْتَنَدَهُ فِي مِثْلِ ذَلِكَ: حِكَايَةً يَحْكِيهَا عَنْ مَجْهُولٍ حَتَّى أَنْ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: حَدَّثَنِي أَحَبِّي الْخَضِرُ أَنَّ قَبْرَ الْخَضِرِ بِمَكَانٍ كَذَا وَمِنْ الْمَعْلُومِ الَّذِي يَبَيِّنُهُ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ أَنَّ كُلَّ مَنْ ادَّعَى أَنَّهُ رَأَى الْخَضِرَ أَوْ رَأَى مَنْ رَأَى الْخَضِرَ أَوْ سَمِعَ شَخْصًا رَأَى الْخَضِرَ أَوْ ظَنَّ الرَّأْيِي أَنَّهُ الْخَضِرُ: أَنَّ كُلَّ ذَلِكَ لَا يَجُوزُ إِلَّا عَلَى الْجَهْلَةِ الْمُخَرَّفِينَ الَّذِينَ لَا حِطَّ لَهُمْ مِنْ عِلْمٍ وَلَا عَقْلٍ وَلَا دِينٍ بَلْ هُمْ مِنَ الَّذِينَ لَا يَفْقَهُونَ وَلَا يَعْقِلُونَ. وَأَمَّا مَا يُذَكِّرُ مِنْ وَجُودِ رَائِحَةٍ طَيِّبَةٍ أَوْ خَرَقَ عَادَةٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِالْقَبْرِ: فَهَذَا لَا يَدُلُّ عَلَى تَعْيِينِهِ. وَأَنَّهُ فُلَانٌ أَوْ فُلَانٌ بَلْ غَايَةُ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ - إِذَا ثَبَتَ - أَنَّهُ دَلِيلٌ عَلَى صَلَاحِ الْمَقْبُورِ وَأَنَّهُ قَبْرُ رَجُلٍ صَالِحٍ أَوْ نَبِيِّ. وَقَدْ تَكُونُ تِلْكَ الرَّائِحَةُ مِمَّا صَنَعَهُ بَعْضُ السُّوْفَةِ. فَإِنَّ هَذَا مِمَّا يَفْعَلُهُ طَائِفَةٌ مِنْ هَؤُلَاءِ كَمَا حَدَّثَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا أَنَّهُ ظَهَرَ بِشَاطِئِ الْفَرَاتِ رَجُلَانِ وَكَانَ أَحَدُهُمَا قَدْ اتَّخَذَ قَبْرًا بُجْحَى إِلَيْهِ أَمْوَالٌ مِمَّنْ يَزُورُهُ وَيَنْدِرُ لَهُ مِنَ الضَّلَالِ فَعَمَدَ الْآخِرُ إِلَى قَبْرِ وَرَعَمَ أَنَّهُ رَأَى فِي الْمَنَامِ أَنَّهُ قَبْرُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَجَعَلَ فِيهِ مِنْ أَنْوَاعِ الطَّيِّبِ مَا ظَهَرَتْ لَهُ رَائِحَةُ عَظِيمَةٍ. وَقَدْ حَدَّثَنِي جِيرَانُ الْقَبْرِ الَّذِي بِجَبَلِ لُبْنَانَ بِالْبِقَاعِ الَّذِي يُقَالُ: إِنَّهُ قَبْرُ نُوحٍ وَكَانَ قَدْ ظَهَرَ قَرِيبًا فِي أَثْنَاءِ الْمِائَةِ السَّابِعَةِ وَأَصْلُهُ: أَنَّهُمْ سَمُّوا مِنْ قَبْرِ رَائِحَةً طَيِّبَةً وَوَجَدُوا عِظَامًا كَبِيرَةً فَقَالُوا: هَذِهِ تَدُلُّ عَلَى كِبَرِ خَلْقِ الْبِنِيَّةِ فَقَالُوا - بِطَرِيقِ الظَّنِّ - هَذَا قَبْرُ نُوحٍ وَكَانَ بِالْبُقْعَةِ مَوْتَى كَثِيرُونَ مِنْ جِنْسٍ هَؤُلَاءِ. وَكَذَلِكَ هَذَا الْمَشْهُدُ الْعَسْقَلَانِيُّ قَدْ ذَكَرَ طَائِفَةٌ: أَنَّهُ قَبْرُ بَعْضِ الْخَوَارِيِّينَ أَوْ غَيْرِهِمْ مِنْ أَتْبَاعِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ. وَقَدْ يُوجَدُ عِنْدَ قُبُورِ الْوَثْنِيِّينَ مِنْ جِنْسٍ مَا يُوجَدُ عِنْدَ قُبُورِ الْمُؤْمِنِينَ؛ بَلْ إِنَّ زَعَمَ الرَّاعِمِ أَنَّهُ قَبْرُ الْحُسَيْنِ ظَنٌّ وَتَحْرُصٌ. وَكَانَ مِنَ الشُّيُوخِ الْمَشْهُورِينَ بِالْعِلْمِ وَالِدِينَ بِالقَاهِرَةِ مَنْ ذَكَرُوا عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: هُوَ قَبْرُ نَصْرَانِيٍّ. وَكَذَلِكَ بِدِمَشْقَ بِالْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ

مَشْهَدٌ يُقَالُ: إِنَّهُ قَبْرُ أَبِي بْنِ كَعْبٍ. وَقَدْ اتَّفَقَ أَهْلُ الْعِلْمِ عَلَى أَنَّ أَبِيًّا لَمْ يَفْدَمْ دِمَشْقَ. وَإِنَّمَا مَاتَ بِالْمَدِينَةِ. فَكَانَ بَعْضُ النَّاسِ يَقُولُ: إِنَّهُ قَبْرُ نَصْرَانِيٍّ. وَهَذَا غَيْرُ مُسْتَبْعَدٍ. فَإِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى هُمُ السَّابِقُونَ فِي تَعْظِيمِ الْقُبُورِ وَالْمَشَاهِدِ. وَلِهَذَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ: **"لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى: اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ يُحْذَرُ مَا فَعَلُوا"**. وَالنَّصَارَى أَشَدُّ غُلُوءًا فِي ذَلِكَ مِنَ الْيَهُودِ كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَتْ لَهُ أُمُّ حَبِيبَةَ وَأُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كُنَيْسَهُ بَارِضِ الْحَبْشَةِ وَذَكَرَتَا مِنْ حُسْنِهَا وَتَصَاوِيرِ فِيهَا. فَقَالَ: **"إِنَّ أَوْلَيْكَ إِذَا كَانَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَمَاتَ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ التَّصَاوِيرَ أَوْلَيْكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"**. وَالنَّصَارَى كَثِيرًا مَا يُعْظَمُونَ آثَارَ الْقِدَّاسِينَ مِنْهُمْ. فَلَا يُسْتَبْعَدُ أَنَّهُمْ أَلْقَوْا إِلَى بَعْضِ جُهَالِ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ هَذَا قَبْرُ بَعْضٍ مَنْ يُعْظَمُهُ الْمُسْلِمُونَ لِيُؤَافِقُوهُمْ عَلَى تَعْظِيمِهِ. كَيْفَ لَا؟ وَهُمْ قَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا مِنْ جُهَالِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى صَارُوا يُعَمِّدُونَ أَوْلَادَهُمْ وَيَزْعُمُونَ أَنَّ ذَلِكَ يُوجِبُ طَوْلَ الْعُمَرِ لِلْوَلَدِ وَحَتَّى جَعَلُوهُمْ يَزُورُونَ مَا يُعْظَمُونَهُ مِنَ الْكُنَائِسِ وَالْبَيْعِ وَصَارَ كَثِيرٌ مِنْ جُهَالِ الْمُسْلِمِينَ يَنْذَرُونَ لِلْمَوَاضِعِ الَّتِي يُعْظَمُهَا النَّصَارَى كَمَا قَدْ صَارَ كَثِيرٌ مِنْ جُهَالِهِمْ يَزُورُونَ كُنَائِسَ النَّصَارَى وَيَلْتَمِسُونَ الْبَرَكَةَ مِنْ قِسِّيَّيِهِمْ وَرَهَابِيِّيِهِمْ وَنَحْوِهِمْ. وَالَّذِينَ يُعْظَمُونَ الْقُبُورَ وَالْمَشَاهِدَ: هُمْ شَبَّةٌ شَدِيدٌ بِالنَّصَارَى حَتَّى إِذَا لَمَّا قَدِمْتَ الْقَاهِرَةَ اجْتَمَعَ بِي بَعْضُ مُعْظَمِيهِمْ مِنَ الرُّهْبَانِ وَنَاطَرَنِي فِي الْمَسِيحِ وَدِينِ النَّصَارَى حَتَّى بَيَّنْتَ لَهُ فَسَادَ ذَلِكَ وَأَجَبْتَهُ عَمَّا يَدَّعِيهِ مِنَ الْحُجَّةِ وَبَلَغَنِي بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّهُ صَنَّفَ كِتَابًا فِي الرَّدِّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَإِبْطَالِ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَخْضَرَهُ إِلَيَّ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ وَجَعَلَ يَقْرؤه عَلَيَّ لِأُجِيبَ عَنْ حُجَجِ النَّصَارَى وَأُبَيِّنَ فَسَادَهَا. وَكَانَ مِنْ أَوَاحِرَ مَا خَاطَبْتُ بِهِ النَّصْرَانِيَّ: أَنْ قُلْتُ لَهُ: أَنْتُمْ مُشْرِكُونَ وَبَيَّنْتَ مِنْ شَرِكِهِمْ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْعُكُوفِ عَلَى التَّمَاثِيلِ وَالْقُبُورِ وَعِبَادَتِهَا وَالْإِسْتِعَانَةِ بِهَا. قَالَ لِي: نَحْنُ مَا نُشْرِكُ بِهِمْ وَلَا نَعْبُدُهُمْ وَإِنَّمَا نَتَوَسَّلُ بِهِمْ كَمَا يَفْعَلُ الْمُسْلِمُونَ إِذَا جَاءُوا إِلَى قَبْرِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ فَيَتَعَلَّقُونَ بِالشُّبَّاكِ الَّذِي عَلَيْهِ وَنَحْوِ ذَلِكَ. فَقُلْتُ لَهُ: وَهَذَا أَيْضًا مِنَ الشَّرِكِ لَيْسَ هَذَا مِنْ دِينِ الْمُسْلِمِينَ وَإِنْ فَعَلَهُ الْجُهَالُ فَأَقَرَّ أَنَّهُ شَرِكٌ حَتَّى إِنْ قَسَّيْنَا كَانَ حَاضِرًا فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ. فَلَمَّا سَمِعَهَا قَالَ: نَعَمْ عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ نَحْنُ مُشْرِكُونَ. وَكَانَ بَعْضُ النَّصَارَى يَقُولُ لِبَعْضِ الْمُسْلِمِينَ: لَنَا سَيِّدٌ وَسَيِّدَةٌ وَلَكُمْ سَيِّدٌ وَسَيِّدَةٌ لَنَا السَّيِّدُ الْمَسِيحُ وَالسَّيِّدَةُ مَرْيَمُ وَلَكُمْ السَّيِّدُ الْحُسَيْنُ وَالسَّيِّدَةُ نَعِيسَةُ. فَالنَّصَارَى يَفْرَحُونَ بِمَا يَفْعَلُهُ أَهْلُ الْبِدْعِ وَالْجُهْلُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِمَّا يُؤَافِقُ دِينَهُمْ وَيُشَاهِدُونَهُمْ فِيهِ وَيُحِبُّونَ أَنْ يَقْوَى ذَلِكَ وَيَكْثُرَ وَيُحِبُّونَ أَنْ يَجْعَلُوا زُهْبَانَهُمْ مِثْلَ عُبَادِ الْمُسْلِمِينَ وَقِسِّيَّيِهِمْ مِثْلَ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ. وَيُضَاهَوْنَ الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّ عُقَلَاءَهُمْ لَا يُنْكِرُونَ صِحَّةَ دِينِ الْإِسْلَامِ. بَلْ يَقُولُونَ: هَذَا طَرِيقٌ إِلَى اللَّهِ وَهَذَا طَرِيقٌ إِلَى اللَّهِ. وَلِهَذَا يَسْهَلُ إظهارُ الْإِسْلَامِ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا مِنْهُمْ. فَإِنَّ عِنْدَهُمْ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالنَّصَارَى كَأَهْلِ الْمَذَاهِبِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بَلْ يُسَمُّونَ الْجَمَلِ مَذَاهِبَ. وَمَعْلُومٌ أَنَّ أَهْلَ الْمَذَاهِبِ كَالْحَنَفِيَّةِ وَالْمَالِكِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ وَالْحَنَبَلِيَّةِ دِينُهُمْ وَاحِدٌ. وَكُلُّ مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْهُمْ بِحَسَبِ وَسْعِهِ كَانَ مُؤْمِنًا سَعِيدًا بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ)).

ومن أعجب أمور القبورين أن هنالك من المشاهد التي تعبد من دون الله تعالى مشاهد لبعض الحيوانات من الكلاب، والخنازير، والحمير، والضباب، والسلاحف، والتماسيح، فيذكر أن بينجلاديش مزاراً لكلب يدعو العامة (كته شاه)، وهناك أيضاً ضب وتمساح وسلحفاة تعد من الأولياء.

ويذكر أيضاً أن هنالك مقام الشيخ خنيزير بالقرب من عمان وأصله خنزير بري قتله صياد.

ويحكى أيضاً أنَّ البلدية في مصر عزمت على نقل ضريح من إحدى الطرق ففوجئت أنَّ القبر فيه عظام حمار. وذكر غير واحد من المؤلفين المعاصرين أنَّه يوجد حية في مصر تنسب إليها المعجزات وتبعد بكل أنواع العبادات. وليس هذا بغريب من أمر القبوريين، فقد عبد كثير من القبوريين بعض الكفار من أهل الكتاب أو الهندوس والجوس أو غيرهم، وهؤلاء أردأ حالاً من الحيوان.

ومن عجيب إضلال الشياطين لبعض القبوريين وصرفهم إلى اعتقاد الولاية في الكافرين أنَّ الخيل إذا أصيبت بمغل وذهب بها إلى قبور الكافرين عوفيت من مغلها فيظن الجاهلون أنَّ هذا لولايتهم وقرب منزلتهم من رب العالمين سبحانه، وما ذلك إلا لما تسمعه من عذاب الكافرين فيحصل لها إفراغ بسبب الخوف فيزول مغلها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في [مجموع الفتاوى] (٣٥ / ١٣٩ - ١٤٠):

((وَالْقَرَامِطَةُ الْخَارِجِيَّةُ بِأَرْضِ الْعِرَاقِ الَّذِينَ كَانُوا سَلَفًا لَهُؤُلَاءِ الْقَرَامِطَةِ ذَهَبُوا مِنَ الْعِرَاقِ إِلَى الْمَغْرِبِ ثُمَّ جَاءُوا مِنَ الْمَغْرِبِ إِلَى مِصْرَ؛ فَإِنَّ كُفْرَ هَؤُلَاءِ وَرِدَّتَهُمْ مِنْ أَعْظَمِ الْكُفْرِ وَالرَّدَّةِ وَهُمْ أَعْظَمُ كُفْرًا وَرِدَّةً مِنْ كُفْرِ أَتْبَاعِ مُسَيِّمَةِ الْكُذَّابِ وَنَحْوِهِ مِنَ الْكُذَّابِينَ؛ فَإِنَّ أَوَّلَكَ لَمْ يَقُولُوا فِي الْإِلَهِيَّةِ وَالرُّبُوبِيَّةِ وَالشَّرَائِعِ مَا قَالَه أَيْمَةُ هَؤُلَاءِ. وَلِهَذَا يُمَيِّزُ بَيْنَ قُبُورِهِمْ وَقُبُورِ الْمُسْلِمِينَ كَمَا يُمَيِّزُ بَيْنَ قُبُورِ الْمُسْلِمِينَ وَالْكَفَّارِ؛ فَإِنَّ قُبُورَهُمْ مُوجَّهَةٌ إِلَى غَيْرِ الْقِبْلَةِ. وَإِذَا أَصَابَ الْخَيْلَ مَغْلٌ أَتَوْا بِهَا إِلَى قُبُورِهِمْ كَمَا يَأْتُونَ بِهَا إِلَى قُبُورِ الْكَفَّارِ وَهَذِهِ عَادَةٌ مَعْرُوفَةٌ لِلْخَيْلِ إِذَا أَصَابَ الْخَيْلَ مَغْلٌ ذَهَبُوا بِهَا إِلَى قُبُورِ النَّصَارَى بِدِمَشْقَ وَإِنْ كَانُوا بِمَسَاكِينِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ وَالنُّصَيْرِيَّةِ وَنَحْوِهَا ذَهَبُوا بِهَا إِلَى قُبُورِهِمْ وَإِنْ كَانُوا بِمِصْرَ ذَهَبُوا بِهَا إِلَى قُبُورِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى أَوْ لَهُؤُلَاءِ الْعَبِيدِينَ الَّذِينَ قَدْ يَتَسَمَّوْنَ بِالْأَشْرَافِ وَلَيْسُوا مِنَ الْأَشْرَافِ. وَلَا يَذْهَبُونَ بِالْخَيْلِ إِلَى قُبُورِ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ؛ وَلَا إِلَى قُبُورِ عُمُومِ الْمُسْلِمِينَ وَهَذَا أَمْرٌ مُجَرَّبٌ مَعْلُومٌ عِنْدَ الْجُنْدِ وَعُلَمَائِهِمْ. وَقَدْ ذُكِرَ سَبَبُ ذَلِكَ: أَنَّ الْكَفَّارَ يُعَاقَبُونَ فِي قُبُورِهِمْ فَتَسْمَعُ أَصْوَاتُهُمُ الْبَهَائِمُ كَمَا أَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ أَنَّ الْكَفَّارَ يُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ فَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ رَاكِبًا عَلَى بَعْلَتِهِ فَمَرَّ بِقُبُورٍ فَحَادَثَ بِهِ كَادَتْ تُلْقِيهِ فَقَالَ: "هَذِهِ أَصْوَاتُ يَهُودٍ تُعَذَّبُ فِي قُبُورِهَا" فَإِنَّ الْبَهَائِمَ إِذَا سَمِعَتْ ذَلِكَ الصَّوْتَ الْمُنْكَرَ أَوْجَبَ لَهَا مِنَ الْحَرَارَةِ مَا يَذْهَبُ الْمَغْلُ وَكَانَ الْجَهْلَالُ يَظُنُّونَ أَنَّ تَمْشِيَةَ الْخَيْلِ عِنْدَ قُبُورِ هَؤُلَاءِ لِدِينِهِمْ وَفَضْلِهِمْ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ يُمَشُّونَهَا عِنْدَ قُبُورِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالنُّصَيْرِيَّةِ وَنَحْوِهِمْ دُونَ قُبُورِ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَذَكَرَ الْعُلَمَاءُ أَنَّهُمْ لَا يُمَشُّونَهَا عِنْدَ قَبْرِ مَنْ يَعْرِفُ بِالَّذِينَ بِمِصْرَ وَالشَّامِ وَغَيْرِهَا؛ إِنَّمَا يُمَشُّونَهَا عِنْدَ قُبُورِ الْفُجَّارِ وَالْكَفَّارِ)) .

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله في كتابه [الروح] (ص: ٥٣):

((قال بعض أهل العلم ولهذا السبب يذهب الناس بدوابعهم إذا مغلَّت إلى قبور اليهود والنصارى والمنافقين كالإسماعيلية والنصيرية والقرامطة من بني عبيد وغيرهم الذين بأرض مصر والشام فإنَّ أصحاب الخيل يقصدون قبورهم لذلك كما يقصدون قبور اليهود والنصارى قال فإذا سمعت الخيل عذاب القبر أحدث لها ذلك فرعاً وحرارة تذهب بالمغل)) .

قلت: ومن جملة الأمور التي بسببها فتن كثير من الجهال بالقبور أن أحدهم ربما يدعو الله تعالى عند قبر من القبور فيستجيب الله تعالى له فيقع في قلبه أن الله تعالى ما استجاب له في ذلك الموضع إلا لبركة صاحب القبر، ويحتج بهذه الاستجابة على محبة الله تعالى لمثل ذلك ورضاه عنه.

وقد أجاب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله على ذلك فأحسن وأجاد وبلغ المراد فقال في **[اقتضاء الصراط المستقيم]** (٢/ ٢٠٨-٢١٥):

((والجواب عنها من وجهين: مجمل ومفصل.

أما المجمل: فالنقض: فإن اليهود والنصارى عندهم من الحكايات والقياسات من هذا النمط كثير، بل المشركون الذين بعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يدعون عند أوثانهم فيستجاب لهم أحياناً، كما قد يستجاب لهؤلاء أحياناً، وفي وقتنا هذا عند النصارى من هذا طائفة، فإن كان هذا وحده دليلاً على أن الله يرضى ذلك ويحبه، فليطرد الدليل. وذلك كفر متناقض.

ثم إنك تجد كثيراً من هؤلاء الذين يستغيثون، عند قبر أو غيره، كل منهم قد اتخذ وثناً أحسن به الظن، وأساء الظن بآخر، وكل منهم يزعم أن وثنه يستجاب عنده، ولا يستجاب عند غيره، فمن المحال إصابتهم جميعاً، وموافقة بعضهم دون بعض تحكماً، وترجيح بلا مرجح، والتدين بدينهم جميعاً جمع بين الأضداد.

فإن أكثر هؤلاء إنما يكون تأثرهم - فيما يزعمون - بقدر إقبالهم على وثنهم، وانصرافهم عن غيره، وموافقتهم جميعاً فيما يثبتونه - دون ما ينفونه -، بضعف التأثير على زعمهم، فإن الواحد إذا أحسن الظن بالإجابة عند هذا وهذا، لم يكن تأثره مثل تأثر الحسن الظن بواحد دون آخر. وهذه كلها من خصائص الأوثان.

ثم قد استجيب لبلعم بن باعور في قوم موسى المؤمنين وسلبه الله الإيمان. والمشركون قد يستسقون فيسقون، ويستنصرون فينصرون.

وأما الجواب المفصل فنقول: مدار هذه الشبه على أصلين:

منقول: وهو ما يحكى من فعل هذا الدعاء عن بعض الأعيان.

ومعقول: وهو ما يعتقد من منفعة التجارب والأقيسة.

فأما النقل في ذلك: فإما كذب، أو غلط، أو ليس بحجة، بل قد ذكرنا النقل عمن يقتدى به بخلاف ذلك.

وأما المعقول فنقول: عامة المذكور من المنافع كذب، فإن هؤلاء الذين يتحرون الدعاء عند القبور وأمثالهم - إنما يستجاب لهم في النادر. ويدعو الرجل منهم ما شاء الله من دعوات، فيستجاب له في واحدة، ويدعو خلق كثير منهم، فيستجاب للواحد بعد الواحد وأين هذا من الذين يتحرون الدعاء أوقات الأسحار، ويدعون الله في سجودهم وأدبار صلاتهم، وفي بيوت الله؟ فإن هؤلاء إذا ابتهلوا من جنس ابتغال المقابر لم تكذب تسقط لهم دعوة إلا لمانع.

بل الواقع أنَّ الابتهاال الذي يفعله المقابريون إذا فعله المخلصون، لم يرد المخلصون إلَّا نادراً، ولم يستجب للمقابريين إلَّا نادراً، والمخلصون كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: **"ما من عبد يدعو الله بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلَّا أعطاه الله بها إحدى خصال ثلاث: إما أن يعجل الله له دعوته، أو يدخر له من الخير مثلها، أو يصرف عنه من الشر مثلها"**، قالوا: يا رسول الله، إذن نكثر. قال: **"الله أكثر"**. فهم في دعائهم لا يزالون بخير.

وأما المقبريون: فإنَّهم إذا استجيب لهم نادراً، فإنَّ أحدهم يضعف توحيده، ويقل نصيبه من ربه، ولا يجد في قلبه من ذوق الإيمان وحلاوته ما كان يجده السابقون الأولون. ولعله لا يكاد يبارك له في حاجته، اللهم إلَّا أن يعفو الله عنهم لعدم علمهم بأنَّ ذلك بدعة، فإنَّ المجتهد إذا أخطأ أثابه الله على اجتهاده، وغفر له خطأه.

وجميع الأمور التي يظن أنَّ لها تأثيراً في العالم وهي محرمة في الشرع، كالتمريجات الفلكية، والتوجهات النفسانية. كالعين، والدعاء المحرم، والرقى المحرمة، أو التمريجات الطبيعية. ونحو ذلك، فإنَّ مضرَّتها أكثر من منفعتها حتى في نفس ذلك المطلوب، فإنَّ هذه الأمور لا يطلب بها غالباً إلَّا أمور دنيوية، فقل أن يحصل لأحد بسببها أمر دنيوي إلَّا كانت عاقبته فيه في الدنيا عاقبة خبيثة. دع الآخرة.

والمخفق من أهل هذه الأسباب أضعاف أضعاف المنجح، ثم إنَّ فيها من النكد والضرر ما الله به عليم. فهي في نفسها مضرَّة ولا يكاد يحصل الغرض بها إلَّا نادراً وإذا حصل فضرره أكثر من نفعه. والأسباب المشروعة في حصول هذه المطالب، المباحة أو المستحبة سواء كانت طبيعية: كالتجارة والحراثة، أو كانت دينية: كالتركُّل على الله والثقة به، وكدعاء الله سبحانه على الوجه المشروع، في الأمكنة والأزمنة التي فضلها الله ورسوله، بالكلمات الماثورة عن إمام المتقين صلى الله عليه وسلم، وكالصدقة، وفعل المعروف يحصل بها الخير المحض أو الغالب. وما يحصل من ضرر بفعل مشروع، أو ترك غير مشروع مما نهي عنه، فإنَّ ذلك الضرر مكثور في جانب ما يحصل من المنفعة.

وهذا الأمر، كما أنَّه قد دل عليه الكتاب والسنة والإجماع، فهو أيضاً معقول بالتجارب المشهورة والأقيسة الصحيحة، فإنَّ الصلاة والزكاة يحصل بهما خير الدنيا والآخرة، ويجلبان كل خير، ويدفعان كل شر.

فهذا الكلام في بيان أنَّه لا يحصل بتلك الأسباب المحرمة لا خير محض، ولا غالب، ومن كان له خبرة بأحوال العالم وعقل، يتيقن ذلك يقيناً لا شك فيه.

وإذا ثبت ذلك: فليس علينا من سبب التأثير أحياناً، فإنَّ الأسباب التي يخلق الله بها الحوادث في الأرض والسماء، لا يحصيها على الحقيقة إلَّا هو، أما أعيانها فبلا ريب - وكذلك أنواعها أيضاً - لا يضبطها المخلوق لسعة ملكوت الله سبحانه وتعالى، ولهذا كانت طريقة الأنبياء عليهم السلام، أنَّهم يأمرُّون الخلق بما فيه صلاحهم، وينهونهم عما فيه فسادهم، ولا يشغلونهم بالكلام في أسباب الكائنات كما تفعل المتفلسفة، فإنَّ ذلك كثير التعب، قليل الفائدة، أو موجب للضرر.

ومثال النبي صلى الله عليه وسلم مثال طبيب دخل على مريض، فرأى مرضه فعلمه، فقال له: اشرب كذا، واجتنب كذا. ففعل ذلك، فحصل غرضه من الشفاء.

والمفلس قد يطول معه الكلام في سبب ذلك المرض، وصفته، وذمه وذم ما أوجبه. ولو قال له المريض: فما الذي يشفيني منه؟ لم يكن له بذلك علم تام.

والكلام في بيان تأثير بعض هذه الأسباب قد يكون فيه فتنة لمن ضعف عقله ودينه، بحيث تحتطف عقله فيتأله إذا لم يرزق من العلم والإيمان ما يوجب له الهدى واليقين. ويكفي العاقل أن يعلم أن ما سوى المشروع لا يؤثر بحال، فلا منفعة فيه، أو أنه وإن أثر فضرره أكثر من نفعه.

ثم سبب قضاء حاجة بعض هؤلاء الداعين الأدعية المحرمة: أن الرجل منهم قد يكون مضطراً ضرورة لو دعا الله بها مشرك عند وثن لاستجيب له، لصدق توجهه إلى الله، وإن كان تحري الدعاء عند الوثن شركاً. ولو استجيب له على يد المتوسل به، صاحب القبر أو غيره لاستغاثته، فإنه يعاقب على ذلك ويهوي به في النار إذا لم يعف الله عنه، كما لو طلب من الله ما يكون فتنة له. كما أن ثعلبة لما سأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو له بكثرة المال، ونحاه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك مرة بعد مرة فلم ينته حتى دعا له، وكان ذلك سبب شقائه في الدنيا والآخرة. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إنَّ الرجل ليسألني المسألة فأعطيهِ إياها، فيخرج بها يتأبطها ناراً"، فقالوا: يا رسول الله فلم تعطهم؟ قال: "يأبون إلا أن يسألوني ويأبى الله لي البخل".

فكم من عبد دعا دعاء غير مباح، فقضيت حاجته في ذلك الدعاء، وكان سبب هلاكه في الدنيا والآخرة، تارة بأن يسأل ما لا تصلح له مسألته، كما فعل بلعام وثعلبة، وكخلق كثير دعوا بأشياء فحصلت لهم، وكان فيها هلاكهم. وتارة بأن يسأل على الوجه الذي لا يحبه الله كما قال سبحانه: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥] فهو سبحانه لا يحب المعتدين في صفة الدعاء، ولا في المسؤول، وإن كانت حاجتهم قد تقضى، كأقوام ناجوا الله في دعواتهم بمناجاة فيها جرأة على الله، واعتداء لحدوده، وأعطوا طلبتهم فتنة، ولما يشاء سبحانه، بل أشد من ذلك.

ألست ترى السحر والطلسمات والعين وغير ذلك، من المؤثرات في العالم بإذن الله، قد يقضى بها كثير من أغراض النفوس ومع هذا فقد قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ - وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَسُوهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢ - ١٠٣].

فإنهم معترفون بأنه لا ينفع في الآخرة، وأن صاحبه خاسر في الآخرة، وإنما يتشبثون بمنفعته في الدنيا. وقد قال تعالى: ﴿وَيَعْلَمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وكذلك أنواع من الداعين والسائلين قد يدعون دعاء محرماً، يحصل معه ذلك الغرض، ويورثهم ضرراً أعظم منه، وقد يكون الدعاء مكروهاً ويستجاب له أيضاً)).



عقائد الشرك لا تحصى لكثرتها ... وما يطبق لها الإنسان تعداد

الشرح

بين الشاعر كثرة عقائد الشرك وأنها لكثرتها خارجة عن إحصاء العادين، وصدق في ذلك فإنك إذا نظرت إلى بلدان الكافرين، وجدتهم قد عبدوا كل شيء من الجن والإنس والملائكة والشياطين، والحيوانات حتى الفروج. وإذا نظرت إلى بلدان المسلمين وجدت عقائد شركية كثيرة جداً يعسر حصرها.

وقد بين الله تعالى كثرة الشرك في الناس فقال: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦].

قال العلامة الشنيطي رحمه الله في [أضواء البيان] (٢/ ٢١٩):

((وفي هذه الآية الكريمة إشكال: وهو أن المُشْرَكَّ في علم البلاغة أن الحال فيد لإعمالها وصفت لصاحبها، وعليه فإن عامل هذه الجملة الحالية الذي هو " يُؤْمِنُ " مُقَيَّدٌ بِهَا ، فيصير المعنى تقييد إيمانهم بكونهم مُشْرِكِينَ ، وهو مُشْكِلٌ لما بين الإيمان والشرك من المُتَافَاةِ .

قال مُقَيِّدُهُ عفا الله عنه: لم أر من شفى الغليل في هذا الإشكال، والذي يظهر لي والله تعالى أعلم أن هذا الإيمان المُقَيَّدَ بحال الشرك إنما هو إيمان لُغَوِيٍّ لا شرعيٍّ؛ لأن من يعبد مع الله غيره لا يصدق عليه اسم الإيمان البتة شرعاً. أما الإيمان اللُغَوِيُّ فهو يشمل كل تصديق، فتصديق الكافر بأن الله هو الخالق الرازق يصدق عليه اسم الإيمان لغة مع كُفْرِهِ بِاللَّهِ، ولا يصدق عليه اسم الإيمان شرعاً. وإذا حَقَّقْتَ ذَلِكَ عَلِمْتَ أَنَّ الإيمان اللُغَوِيَّ يُجَامِعُ الشَّرْكَ فَلَا إِشْكَالَ فِي تَقْيِيدِهِ بِهِ)) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله [مجموع الفتاوى] (١٦ / ٥٧٣):

((وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ . سَمَاءُ إِيْمَانًا مَعَ التَّقْيِيدِ وَإِلَّا فَالْمُشْرِكُ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا يَدْخُلُ فِي مُسَمًّى الْإِيْمَانِ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ . وَقَدْ قَالَ: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ ... فَهَذَا مَعَ التَّقْيِيدِ . وَمَعَ الْإِطْلَاقِ فَالْإِيْمَانُ هُوَ الْإِيْمَانُ بِاللَّهِ وَالْبَشَارَةُ بِالْخَيْرِ)) .



فكم نرى حيث حل الجهل من بدع ... إتيانها كله شرك وإلحاد

الشرح

يَبِّنُ الشاعر أَنَّ البدع والشرك يجلان حيث يحل الجهل، فالجهل أصل كل شر في الوجود.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في [مفتاح دار السعادة] (١/ ٨٧):

((ولا ريب أَنَّ الجهل أصل كل فساد وكل ضرر يلحق العبد في دنياه وأخراه)).

قلت: وبهذا يتبين لك ميسس الحاجة إلى العلم فهو حياة القلوب بل وحياة الكون.

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله في [إعلام الموقعين] (٢/ ١٨٢):

((وإذا خفى العلم هناك ظهر الشر والفساد. ومن لم يعرف هذا فهو ممن لم يجعل الله له نوراً.

قال الإمام أحمد: ولولا العلم كان الناس كالبهائم، وقال: الناس أحوج إلى العلم منهم إلى الطعام والشراب؛ لأنَّ الطعام والشراب يحتاج إليه في اليوم مرتين أو ثلاثاً، والعلم يحتاج إليه كل وقت)).

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله في [زاد المعاد] (٣/ ٤٤٣):

((فصل: ومنها: أَنَّهُ لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وإبطالها يوماً واحداً، فإنَّها شعائر الكفر والشرك، وهي أعظم المنكرات، فلا يجوز الإقرار عليها مع القدرة البتة، وهذا حكم المشاهد التي بنيت على القبور التي اتخذت أوثاناً وطواغيت تعبد من دون الله، والأحجار التي تقصد للتعظيم والتبرك والنذر والتقبيل لا يجوز إبقاء شيء منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالته، وكثير منها بمنزلة اللات والعزى، ومناة الثالثة الأخرى، أو أعظم شركاً عندها، وبها، والله المستعان.

ولم يكن أحد من أرباب هذه الطواغيت يعتقد أنَّها تخلق وترزق وتميت وتحيي، وإنَّما كانوا يفعلون عندها وبها ما يفعله إخوانهم من المشركين اليوم عند طواغيتهم، فاتبع هؤلاء سنن من كان قبلهم، وسلكوا سبيلهم حذو القذة بالقذة، وأخذوا مأخذهم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، **وغلب الشرك على أكثر النفوس لظهور الجهل وخفاء العلم**، فصار المعروف منكراً، والمنكر معروفاً، والسنة بدعة والبدعة سنة، ونشأ في ذلك الصغير، وهرم عليه الكبير، وطمست الأعلام واشتدت غربة الإسلام، وقل العلماء وغلب السفهاء، وتفاقم الأمر واشتد البأس، وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس، ولكن لا تزال طائفة من العصابة الحمديدية بالحق قائمين، ولأهل الشرك والبدع مجاهدين، إلى أن يرث الله سبحانه الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين)).

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله في [الرسالة التبوكية] (ص: ٤٤):

((فعلم أَنَّ شرور الدنيا والآخرة إنَّما هو الجهل بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم والخروج عنه، وهذا برهان قاطع على أَنَّهُ لا نجاة للعبد ولا سعادة إلاَّ بالاجتهاد في معرفة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم علماً والقيام به عملاً)).



يكفي بواحدة منها لنا عظة ... ولي بحجتها متن وإسناد

الشرح

لما بيّن الشاعر كثرة عقائد الشرك أراد أن يعظ الناس ويزجرهم عن واحدة من هذه العقائد الشركية، وهي عقيدة الشرك في القبور، وبيّن الشاعر أنّ له الحجة القوية والبرهان على حصول هذا الشرك وعلى بطلانه، وبيّن أن حجته على بطلانها المتن والإسناد فليست مجرد إسناد لشيء لا حقيقة له، ولا متن من غير إسناد فلا يعتمد عليه ولا يجزم بصحته. وهذه العقيدة الشركية هي أصل بلاء المشركين في الأرض كما سبق إيضاح ذلك، ومن أجل هذا سعى النبي صلى الله عليه وسلم بإزالة كل الأسباب المؤدية إليه، وقطع جميع الطرق الموصلة إليه. ومن أمثلة ذلك:

١- نهيه صلى الله عليه وسلم عن الغلو في المدح.

فروى البخاري (٣٤٤٥) عن عمر رضي الله عنه يقول على المنبر سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده فقولوا عبد الله ورسوله)) .
وروى أبو داود (٤٨٠٦) من حديث عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال: ((انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقلنا أنت سيدنا. فقال: "السيد الله تبارك وتعالى". قلنا وأفضلنا فضلاً وأعظمنا طولاً. فقال: "قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستجربنكم الشيطان")) .

قلت: وهو حديث صحيح.

وروى مسلم في [صحيحه] (٧٤٣١) عن همام بن الحارث أنّ رجلاً جعل يمدح عثمان فعمد المقداد فجثا على ركبتيه وكان رجلاً ضخماً فجعل يحثو في وجهه الحصباء، فقال له عثمان: ما شأنك، فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم الشراب)) .

٢- نهيه صلى الله عليه وسلم عن الحلف بغير الله عز وجل

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أدرك عمر بن الخطاب وهو يسير في ركب يحلف بأبيه، فقال: ((ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفاً فليحلف بالله وإلا فليصمت)) .
أخرجه البخاري (٦٦٤٦)، ومسلم (٤٢٣٣).

وروى مسلم (٤٢٣٨) عن عبد الرحمن بن سمرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا تحلفوا بالطواغي ولا بآبائكم)) .

٣- نهيه صلى الله عليه وسلم عن قول من يقول: ما شاء الله، وشئت

فعن ابن عباس: أنّ رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فكلّمه في بعض الأمر فقال ما شاء الله وشئت فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((أجعلتني لله عدلاً؟ قل: ما شاء الله وحده)) .

أخرجه أحمد (١٧٤٢، ١٨٦٣، ٢٤٣٠، ٣٠٧٧)، والنسائي في [الكبرى] (١٠٨٢٥)، وابن ماجه (٢١١٧) من طريق الأجلح الكندي عن يزيد بن الأصم عن ابن عباس به.

قلت: هذا إسناد حسن من أجل الأجلح.

رواه أبو داود الطيالسي (٤٢٥)، وأحمد (٢٣٤٢٩)، والنسائي في [الكبرى] (١٠٨٢١)، من طريق شعبة، عن منصور، عن عبد الله بن يسار، عن حذيفة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**لَا تَقُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ فَلَانٌ، وَلَكِنْ قُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَاءَ فَلَانٌ**)).

قلت: هذا إسناد منقطع بين عبد الله بن يسار، وحذيفة.

قال الحافظ العلائي رحمه الله في [جامع التحصيل] ص (٢٨١): ((قال عثمان بن سعيد سألت يحيى بن معين عن عبد الله بن يسار الذي يروي منصور عنه عن حذيفة " **لَا تَقُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ**" أُلقي حذيفة قال: لا أعلمه، قلت: وروي أيضاً عن علي رضي الله عنه فيكون أيضاً مراسلاً)).

وروى أحمد (٢٥٨٤٥)، والنسائي في [المجتبى] (٦/٧)، و [الكبرى] (١٠٨٢٢) من طريق معبد بن خالد عن عبد الله بن يسار عن قتيلة بنت صيفي الجهنية قالت: ((أَتَى حَبْرٌ مِنَ الْأَخْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، نِعَمَ الْقَوْمُ أَنْتُمْ، لَوْلَا أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ، قَالَ: " **سُبْحَانَ اللَّهِ، وَمَا ذَاكَ**"؟ قَالَ: تَقُولُونَ إِذَا حَلَفْتُمْ وَالْكَعْبَةِ، قَالَتْ: فَأَمَهَل رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا ثُمَّ قَالَ: " **إِنَّهُ قَدْ قَالَ: فَمَنْ حَلَفَ فَلْيَحْلِفْ بِرَبِّ الْكَعْبَةِ**"، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، نِعَمَ الْقَوْمُ أَنْتُمْ، لَوْلَا أَنْتُمْ تَجْعَلُونَ لِلَّهِ نِدَاءً، قَالَ: " **سُبْحَانَ اللَّهِ، وَمَا ذَاكَ**"؟ قَالَ: تَقُولُونَ مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ، قَالَ: فَأَمَهَل رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا ثُمَّ قَالَ: " **إِنَّهُ قَدْ قَالَ، فَمَنْ قَالَ مَا شَاءَ اللَّهُ فَلْيَفْصِلْ بَيْنَهُمَا ثُمَّ شِئْتَ**")) هذا لفظ أحمد.

قلت: هذا حديث صحيح.

وروى الإمام أحمد في [مسنده] (١٩٧٧٣) حدثنا بهز، وعفان قالا: ثنا حماد بن سلمة، عن عبد الملك بن عمير، عن ربي بن حراش، عن طفيل بن سخبرة أخي عائشة لأمرها: ((أَنَّهُ رَأَى فِيمَا يَرَى النَّائِمَ، كَأَنَّهُ مَرَّ بِرَهْطٍ مِنَ الْيَهُودِ، فَقَالَ: مَنْ أَنْتُمْ؟ قَالُوا: نَحْنُ الْيَهُودُ، قَالَ: إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الْقَوْمُ، لَوْلَا أَنْتُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّ عَزِيرًا ابْنُ اللَّهِ، فَقَالَتِ الْيَهُودُ: وَأَنْتُمْ الْقَوْمُ لَوْلَا أَنْتُمْ تَقُولُونَ مَا شَاءَ اللَّهُ، وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، ثُمَّ مَرَّ بِرَهْطٍ مِنَ النَّصَارَى، فَقَالَ: مَنْ أَنْتُمْ؟ قَالُوا: نَحْنُ النَّصَارَى، فَقَالَ: إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الْقَوْمُ، لَوْلَا أَنْتُمْ تَقُولُونَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ، قَالُوا: وَأَنْتُمْ الْقَوْمُ، لَوْلَا أَنْتُمْ تَقُولُونَ مَا شَاءَ اللَّهُ، وَمَا شَاءَ مُحَمَّدٌ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَخْبَرَ بِهَا مَنْ أَخْبَرَ، ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: " **هَلْ أَخْبَرْتَ بِهَا أَحَدًا**"؟ قَالَ عَفَانُ:

قَالَ: نَعَمْ، فَلَمَّا صَلَّوْا، خَطَبَهُمُ فَحَمِدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: "إِنَّ طُفَيْلاً رَأَى رُؤْيَا فَأَخْبَرَ بِهَا مَنْ أَخْبَرَ مِنْكُمْ، وَإِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَقُولُونَ كَلِمَةً كَانَ يَمْنَعُنِي الْحَيَاءُ مِنْكُمْ، أَنْ أَنْهَاكُمْ عَنْهَا، قَالَ: لَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ، وَمَا شَاءَ مُحَمَّدٌ" ((.

قلت: هذا حديث حسن من أجل عبد الملك بن عمير، فإنه حسن الحديث.

❦ وأخرجه ابن ماجه (٢١١٨)، والنسائي في [عمل اليوم والليلة] (٩٩٠)، وغيرهما.

٤- نهيه صلى الله عليه وسلم عن شد الرحال إلى القبور

❦ فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لَا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ الْمَسْجِدِ

الْحَرَامِ وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى)).

أخرجه البخاري (١١٨٩)، ومسلم (٣٣٧٠).

❦ وعن قَزَعَةَ مولى زياد قال: سمعت أبا سعيد الخدري رضي الله عنه يحدث بأربع عن النبي صلى الله عليه وسلم،

فأعجبني، وآتقني، قال: ((لَا تُسَافِرِ الْمَرْأَةُ يَوْمَيْنِ إِلَّا مَعَهَا زَوْجُهَا، أَوْ ذُو مَحْرَمٍ، وَلَا صَوْمٌ فِي يَوْمَيْنِ الْفِطْرِ

وَالْأَضْحَى، وَلَا صَلَاةَ بَعْدَ صَلَاتَيْنِ بَعْدَ الصُّبْحِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ وَبَعْدَ الْعَصْرِ حَتَّى تَغْرُبَ، وَلَا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا

إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ مَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى وَمَسْجِدِي)).

أخرجه البخاري (١١٩٧)، ومسلم (٣٢٤٨).

❦ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في [مجموع الفتاوى] (٢١/٢٧): ((مع أن قوله: "لَا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا

إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ" يتناول المنع من السفر إلى كل بقعة مقصودة، بخلاف السفر للتجارة، وطلب العلم ونحو ذلك، فإن

السفر لطلب تلك الحاجة حيث كانت، وكذلك السفر لزيارة الأخ في الله، فإنه هو المقصود حيث كان)).

❦ وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في [اقتضاء الصراط المستقيم] ص (٣٢٨): ((وأيضاً فإذا كان السفر

إلى بيت من بيوت الله غير المساجد الثلاثة لا يجوز مع أن قصده لأهل مصره يجب تارة، ويستحب أخرى، وقد جاء في

قصد المساجد من الفضل مالا يحصى، فالسفر إلى بيوت الموتى من عباده أولى أن لا يجوز)).

❦ قلت: شد الرحال، والسفر من أجل زيارة القبور من الغلو فيها، الذي هو ذريعة إلى عبادتها، والمقصود من زيارة

القبور ما بينه النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: ((فَزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُدَكِّرُ الْمَوْتَ)).

أخرجه مسلم (٢٢٥٦). من حديث أبي هريرة.

❦ قلت: وتذكر الموت يحصل بزيارة القبور المجاورة، فليس هناك حاجة شرعية لشد الرحال إلى زيارة القبور. وهكذا إن

أراد بزيارته للقبور الدعاء للأموات، فالدعاء لهم لا يشترط فيه السفر إلى قبورهم، بل يمكنه أن يفعل ذلك في أي مكان

من الأرض.

٥- نهيه صلى الله عليه وسلم عن البناء على القبور وتجسيصها، وأمره بتسويتها

❦ فروى الإمام مسلم رحمه الله تعالى (٢٢٣٩) عن ثمامة بن شفي قال: ((كُنَّا مَعَ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ بِأَرْضِ الرُّومِ بِرُودَسَ فَتَوَفَّى صَاحِبٌ لَنَا فَأَمَرَ فَضَالَةُ بْنُ عُبَيْدٍ بِقَبْرِهِ فَسَوَّى ثُمَّ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُ بِتَسْوِيَّتِهَا)) .

❦ وروى الإمام مسلم رحمه الله تعالى (٢٢٤٠) عن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب: ((أَلَا أُبَعِّثُكَ عَلَى مَا بَعَّثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ لَا تَدَعَ مَثَلًا إِلَّا طَمَسْتَهُ وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ)) . وحدثني أبو بكر بن خلاد الباهلي حدثنا يحيى، وهو القطان حدثنا سفيان حدثني حبيب بهذا الإسناد وقال: ((وَلَا صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا)) .

❦ وروى الإمام مسلم رحمه الله تعالى (٢٢٤٢) عن جابر رضي الله عنه قال: ((نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُجَصَّصَ الْقَبْرُ وَأَنْ يُقْعَدَ عَلَيْهِ وَأَنْ يُنَيَّ عَلَيْهِ)) .

٦- نهيه صلى الله عليه وسلم عن الصلاة إلى القبور

❦ فروى الإمام مسلم رحمه الله تعالى (٢٢٤٧، ٢٢٤٨) عن أبي مرثد الغنوي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لَا تَجْلِسُوا عَلَى الْقُبُورِ وَلَا تَصَلُّوا إِلَيْهَا)) .

٧- نهيه صلى الله عليه وسلم عن اتخاذ القبور مساجد

❦ فروى البخاري (٥٨١٥)، ومسلم (١١٨٧) عن عائشة، وعبد الله بن عباس قالا: ((لَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَفِقَ يَطْرُقُ حَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ فَقَالَ وَهُوَ كَذَلِكَ: "لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ" يُحْذَرُ مَا صَنَعُوا)) .

❦ وروى البخاري (٤٣٧)، ومسلم (١١٨٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ)) .

❦ وروى مسلم (١١٨٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ)) .

❦ وروى البخاري (١٣٣٠)، ومسلم (١١٨٤) عن عائشة رضي الله عنها قالت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي لَمْ يَقُمْ مِنْهُ: ((لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ)) . لَوْلَا ذَلِكَ أُبْرِزَ قَبْرُهُ غَيْرَ أَنَّهُ خَشِيَ، أَوْ خَشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا .

❦ وروى البخاري (٤٢٧)، ومسلم (١١٨١) عن عائشة أم المؤمنين: أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ، وَأُمَّ سَلَمَةَ ذَكَرَتَا كَنِيسَةَ رَأَيْنَاهَا بِالْحَبَشَةِ فِيهَا تَصَاوِيرٌ، فَذَكَرَتَا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: ((إِنَّ أَوْلَيْكَ إِذَا كَانَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَمَاتَ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّورَ فَأُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)) .

❦ وروى مسلم (١١٨٨) عن جندب قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس وهو يقول: ((إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ إِنِّي أَنهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ)) .

❦ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في [مجموع الفتاوى] (١/١٦٣-١٦٤): ((واتخاذ المكان مسجداً هو أن يتخذ للصلوات الخمس وغيرها، كما تبنى المساجد لذلك، والمكان المتخذ مسجداً إنما يقصد فيه عبادة الله ودعاؤه لا دعاء المخلوقين فحرم أن تتخذ قبورهم مساجد بقصد الصلوات فيها كما تقصد المساجد وإن كان القاصد لذلك إنما يقصد عبادة الله وحده لأن ذلك ذريعة إلى أن يقصدوا المسجد لأجل صاحب القبر ودعائه والدعاء به والدعاء عنده فنهى رسول الله عن اتخاذ هذا المكان لعبادة الله وحده لئلا يتخذ ذريعة إلى الشرك بالله، والفعل إذا كان يفضي إلى مفسدة وليس فيه مصلحة راجحة ينهى عنه)).

❦ وقال رحمه الله: (٣/٣٩٨): ((ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن اتخاذ القبور مساجد فقال في مرض موته: "لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد" يحذر ما فعلوا، قالت عائشة رضي الله عنها: ولولا ذلك لأبرز قبره ولكن كره أن يتخذ مسجداً.

وفي الصحيح عنه أنه قال قبل أن يموت بخمس: "إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا بيتي عيداً، ولا بيوتكم قبوراً، وصلوا علي حيثما كنتم فإن صلاتكم تبلغني" ولهذا اتفق أئمة الإسلام على أنه لا يشرع بناء المسجد على القبور، ولا تشرع الصلاة عند القبور، بل كثير من العلماء يقول الصلاة عندها باطلة)).

❦ وقال رحمه الله: (١٧/٤٦٣): ((كذلك قال العلماء يحرم بناء المساجد على القبور ويجب هدم كل مسجد بني على قبر وإن كان الميت قد قبر في مسجد وقد طال مكثه سوى القبر حتى لا تظهر صورته فإن الشرك إنما يحصل إذا ظهرت صورته، ولهذا كان مسجد النبي صلى الله عليه وسلم أولاً مقبرة للمشركين، وفيها نخل وخرب فأمر بالقبور فنبشت وبالنخل فقطع وبالخرب فسويت فخرج عن أن يكون مقبرة فصار مسجداً)).

❦ وقال رحمه الله: (٢٢/١٩٤-١٩٥): ((الحمد لله اتفق الأئمة أنه لا يبنى المسجد على قبر لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك" وأنه لا يجوز دفن ميت في مسجد فإن كان المسجد قبل الدفن غير إمّا بتسوية القبر وإمّا بنبشه إن كان جديداً، وإن كان المسجد بني على القبر فإمّا أن يزال المسجد وإمّا أن تزال صورة القبر فالمسجد الذي على القبر لا يصلى فيه فرض ولا نفل فإنه منهى عنه)).

❦ وقال رحمه الله: (٢٤/٣٠٢-٣٠٣): ((وأما جعل المصاحف عند القبور لمن يقصد قراءة القرآن هناك وتلاوته فبدعة منكرة لم يفعلها أحد من السلف بل هي تدخل في معنى اتخاذ المساجد على القبور، وقد استفاضت السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم في النهي عن ذلك حتى قال: "لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد" يحذر ما صنعوا قالت عائشة: ولولا ذلك لأبرز قبره ولكن كره أن يتخذ مسجداً.

وقال: "إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك" ولا نزاع بين السلف والأئمة في النهي عن اتخاذ القبور مساجد.

ومعلوم أنَّ المساجد بنيت للصلاة والذكر وقراءة القرآن فإذا اتخذ القبر لبعض ذلك كان داخلاً في النهي فإذا كان هذا مع كونهم يقرأون فيها فكيف إذا جعلت المصاحف بحيث لا يقرأ فيها ولا ينتفع بها لا حي ولا ميت فإنَّ هذا لا نزاع في النهي عنه.

ولو كان الميت ينتفع بمثل ذلك لفعله السلف فإنهم كانوا أعلم بما يحبه الله ويرضاه وأسرع إلى فعل ذلك وتحريه ((.

وقال رحمه الله: (٢٢٣/٢٧): ((فإنَّ من أصول الشرك بالله اتخاذ القبور مساجد)).

وقال رحمه الله في [اقتضاء الصراط المستقيم] ص (١٠٩): ((ثم من المعلوم ما قد ابتلي به كثير من هذه الأمة

من بناء المساجد على القبور واتخاذ القبور مساجد بلا بناء، وكلا الأمرين محرم ملعون فاعله بالمستفيض من السنة)).

وقال رحمه الله ص (٤٠٢-٤٠٣): ((فإنَّ نهي عن اتخاذ القبور مساجد يتضمن النهي عن بناء المساجد عليها وعن

قصد الصلاة عندها وكلاهما منهي عنه باتفاق العلماء فإنَّهم قد نهوا عن بناء المساجد على القبور بل صرحوا بتحريم ذلك كما دل عليه النص.

واتفقوا أيضاً على أنَّه لا يشرع قصد الصلاة، والدعاء عند القبور، ولم يقل أحد من أئمة المسلمين إنَّ الصلاة عندها والدعاء عندها أفضل منه في المساجد الخالية عن القبور، بل اتفق علماء المسلمين على أنَّ الصلاة والدعاء في المساجد التي لم تبني على القبور أفضل من الصلاة والدعاء في المساجد التي بنيت على القبور ((.

٨- نهيه صلى الله عليه وسلم عن اتخاذ قبره عيداً

فروى أبو داود (١٧٤٦): حدثنا أحمد بن صالح قرأت على عبد الله بن نافع أخبرني ابن أبي ذئب، عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ**)).

ورواه أحمد (٨٤٤٩) من طريق عبد الله بن نافع به.

قلت: هذا حديث حسن من أجل عبد الله بن نافع فإنه حسن الحديث.

وهذه الأدلة التي سقناها وغيرها تدل على مبالغة النبي صلى الله عليه وسلم في قطع كل الطرق الموصلة إلى الشرك في عبادة الصالحين، وما هذا إلا لعظم فتنة الناس بالأموات فالشرك بعبادة الصالحين هو أصل الشرك في العالم.



فكم قبور بموتها مقدسة ... يأتي لها الناس زوّار وقصّاد

الشرح

بيّن الشاعر حال المفتونين بالقبور وأنهم يقدسون من صار تحت الثرى لا يسمع ولا يرى، وكيف أنّ الناس يزورهم من البوادي والقرى، ويقصدونهم لا لتذكر الدار الأخرى ولكن ليصرفوا إليهم أنواعاً من العبادات التي لا تجوز لأحد من الورى. وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن شد الرحال لغير المساجد الثلاثة. وسبق أن ذكرنا ما جاء في ذلك من النهي منها:

حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((**لَا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى**)) . أخرجه البخاري (١١٨٩)، ومسلم (٣٣٧٠).

وحديث قَزَعَةَ مولى زياد قال: سمعت أبا سعيد الخدري رضي الله عنه يحدث بأربع عن النبي صلى الله عليه وسلم، فأعجبني، وأنقني، قال: ((**لَا تُسَافِرُ الْمَرْأَةُ يَوْمَيْنِ إِلَّا مَعَهَا زَوْجُهَا، أَوْ ذُو مَحْرَمٍ، وَلَا صَوْمٌ فِي يَوْمَيْنِ الْفِطْرِ وَالْأَضْحَى، وَلَا صَلَاةٌ بَعْدَ صَلَاتَيْنِ بَعْدَ الصُّبْحِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ وَبَعْدَ الْعَصْرِ حَتَّى تَغْرُبَ، وَلَا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ مَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى وَمَسْجِدِي**)) . أخرجه البخاري (١١٩٧)، ومسلم (٣٢٤٨).

وذكرنا قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في [مجموع الفتاوى] (٢١/٢٧): ((مع أن قوله: " **لَا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ** " يتناول المنع من السفر إلى كل بقعة مقصودة، بخلاف السفر للتجارة، وطلب العلم ونحو ذلك، فإنّ السفر لطلب تلك الحاجة حيث كانت، وكذلك السفر لزيارة الأخ في الله، فإنّه هو المقصود حيث كان)) . وقوله رحمه الله في [اقتضاء الصراط المستقيم] ص (٣٢٨): ((وأيضاً فإذا كان السفر إلى بيت من بيوت الله غير المساجد الثلاثة لا يجوز مع أن قصده لأهل مصره يجب تارة، ويستحب أخرى، وقد جاء في قصد المساجد من الفضل مالا يحصى، فالسفر إلى بيوت الموتى من عبادته أولى أن لا يجوز)) .

واعلم وفقك الله أنّ زيارة القبور تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: الزيارة الشرعية: والمراد بها: السلام على الموتى والدعاء لهم وتذكر الآخرة. فروى مسلم (٩٧٦) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: ((زَارَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْرَ أُمِّهِ فَبَكَى وَأَبَكَى مِنْ حَوْلِهِ فَقَالَ: " **اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَرُورَ قَبْرَهَا فَأُذِنَ لِي فَزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ** ")) .

❦ روى مسلم (٩٧٥) عَنْ بُرَيْدَةَ قَالَ: ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَلِّمُهُمْ إِذَا خَرَجُوا إِلَى الْمَقَابِرِ فَكَانَ قَائِلُهُمْ يَقُولُ: **السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لِلْأَحْقُونَ أَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَكُمْ الْعَافِيَةَ**)) .

❦ روى مسلم (٩٧٤) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ قَيْسٍ بْنِ مَخْرَمَةَ بْنِ الْمُطَّلِبِ أَنَّهُ قَالَ يَوْمًا: ((أَلَا أُحَدِّثُكُمْ عَنِّي وَعَنْ أُمِّي قَالَ: فَظَنَنَّا أَنَّهُ يُرِيدُ أُمَّهُ الَّتِي وَلَدَتْهُ قَالَ قَالَتْ عَائِشَةُ: أَلَا أُحَدِّثُكُمْ عَنِّي وَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْنَا بَلَى قَالَ قَالَتْ: لَمَّا كَانَتْ لَيْلَتِي الَّتِي كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا عِنْدِي انْقَلَبَ فَوَضَعَ رِدَاءَهُ وَخَلَعَ نَعْلَيْهِ فَوَضَعَهُمَا عِنْدَ رِجْلَيْهِ وَبَسَطَ طَرَفَ إِزَارِهِ عَلَى فِرَاشِهِ فَاضْطَجَعَ فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا رَيْثَمًا ظَنُّ أَنْ قَدْ رَقَدْتُ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ زُوَيْدًا وَانْتَعَلَ زُوَيْدًا وَفَتَحَ الْبَابَ فَخَرَجَ ثُمَّ أَجَافَهُ زُوَيْدًا فَجَعَلْتُ دِرْعِي فِي رَأْسِي وَاخْتَمَرْتُ وَتَقَنَعْتُ إِزَارِي ثُمَّ انْطَلَقْتُ عَلَى إِثَرِهِ حَتَّى جَاءَ الْبَقِيعَ فَقَامَ فَأَطَالَ الْقِيَامَ ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ انْحَرَفَ فَانْحَرَفْتُ فَأَسْرَعْتُ فَاسْرَعْتُ فَهَرَوَلْتُ فَهَرَوَلْتُ فَأَخْضَرْتُ فَأَخْضَرْتُ فَسَبَقْتُهُ فَدَخَلْتُ فَلَيْسَ إِلَّا أَنْ اضْطَجَعْتُ فَدَخَلَ فَقَالَ: **"مَا لَكَ يَا عَائِشُ حَشِيًا رَابِيَةً"** قَالَتْ: قُلْتُ: لَا شَيْءَ. قَالَ: **"لَتُخْبِرَنِي أَوْ لَتُخْبِرَنِي اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ"** قَالَتْ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَيِّ أَنتَ وَأُمِّي فَأَخْبَرْتُهُ قَالَ: **"فَأَنْتِ السَّوَادُ الَّذِي رَأَيْتُ أَمَامِي"** قُلْتُ: نَعَمْ فَلَهَدَنِي فِي صَدْرِي لَهْدَةً أَوْجَعَنِي ثُمَّ قَالَ: **"أُظَنِّتُ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَرَسُولُهُ"** قَالَتْ مَهْمَا يَكْتُمِ النَّاسُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ: **"نَعَمْ قَالَ فَإِنَّ جَبْرِيلَ أَتَانِي حِينَ رَأَيْتُ فَتَنَادَانِي فَأَخْفَاهُ مِنْكَ فَأَجَبْتُهُ فَأَخْفَيْتُهُ مِنْكَ وَلَمْ يَكُنْ يَدْخُلُ عَلَيْكَ وَقَدْ وَضَعْتَ ثِيَابَكَ وَظَنَنْتُ أَنْ قَدْ رَقَدْتَ فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَكَ وَخَشِيتُ أَنْ تَسْتَوْحِشِي فَقَالَ إِنَّ رَبَّكَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَأْتِي أَهْلَ الْبَقِيعِ فَتَسْتَغْفِرَ لَهُمْ"** قَالَتْ قُلْتُ كَيْفَ أَقُولُ لَهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: **"قُولِي السَّلَامَ عَلَى أَهْلِ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ وَيَرْحَمِ اللَّهُ الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا وَالْمُسْتَأْخِرِينَ وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لِلْأَحْقُونَ"**)) .

❦ **القسم الآخر:** الزيارة البدعية: كزيارة القبور من أجل دعاء الموتى والطواف حول قبورهم والتمسح بأتربة القبور، وهكذا زيارة القبور من أجل دعاء الله تعالى عندها أو الذكر أو قراءة القرآن.

وهذه الزيارة منها ما هو من قبيل الشرك، ومنها ما هو من وسائله.

❦ **قال شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله كما في [مجموع الفتاوى] (٢٦ / ١٤٨ - ١٤٩):**

((وَزِيَارَةُ الْقُبُورِ عَلَى وَجْهَيْنِ: زِيَارَةٌ شَرْعِيَّةٌ وَزِيَارَةٌ بَدْعِيَّةٌ.

فَالشَّرْعِيَّةُ الْمَقْصُودُ بِهَا السَّلَامُ عَلَى الْمَيِّتِ وَالِدُعَاءُ لَهُ كَمَا يُقْصَدُ بِالصَّلَاةِ عَلَى جَنَازَتِهِ فَزِيَارَتُهُ بَعْدَ مَوْتِهِ مِنْ جِنْسِ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ فَالسُّنَّةُ أَنْ يُسَلَّمَ عَلَى الْمَيِّتِ وَيَدْعُو لَهُ سَوَاءً كَانَ نَبِيًّا أَوْ غَيْرَ نَبِيٍّ كَمَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُ أَصْحَابَهُ إِذَا زَارُوا الْقُبُورَ أَنْ يَقُولَ أَحَدُهُمْ: **"السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ وَيَرْحَمِ اللَّهُ الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا وَمِنْكُمْ وَالْمُسْتَأْخِرِينَ نَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَكُمْ الْعَافِيَةَ اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُمْ وَلَا تَفْتِنَّا بَعْدَهُمْ وَاعْفِرْ لَنَا وَلَهُمْ"** وهكذا يَقُولُ إِذَا زَارَ أَهْلَ الْبَقِيعِ وَمَنْ بِهِ مِنَ الصَّحَابَةِ أَوْ غَيْرِهِمْ أَوْ زَارَ شُهَدَاءَ أُحُدٍ وَغَيْرِهِمْ. وَلَيْسَتْ الصَّلَاةُ عِنْدَ قُبُورِهِمْ أَوْ قُبُورِ غَيْرِهِمْ مُسْتَحَبَّةً عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَيْمَةِ الْمُسْلِمِينَ. بَلِ الصَّلَاةُ فِي الْمَسَاجِدِ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا

قَبْرُ أَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَغَيْرِهِمْ أَفْضَلُ مِنَ الصَّلَاةِ فِي الْمَسَاجِدِ الَّتِي فِيهَا ذَلِكَ بِاتِّفَاقِ أئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ؛ بَلْ الصَّلَاةُ فِي الْمَسَاجِدِ الَّتِي عَلَى الْقُبُورِ إِمَّا مُحَرَّمَةٌ وَإِمَّا مَكْرُوهَةٌ.

وَالرَّيَاةُ الْبِدْعِيَّةُ: أَنْ يَكُونَ مَقْصُودُ الرَّائِرِ أَنْ يَطْلُبَ حَوَائِجَهُ مِنْ ذَلِكَ الْمَيِّتِ أَوْ يَقْصِدَ الدُّعَاءَ عِنْدَ قَبْرِهِ. أَوْ يَقْصِدَ الدُّعَاءَ بِهِ فَهَذَا لَيْسَ مِنْ سُنَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا اسْتَحَبَّهُ أَحَدٌ مِنْ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأُئِمَّتِهَا؛ بَلْ هُوَ مِنَ الْبِدْعِ الْمَنْهِي عَنْهَا بِاتِّفَاقِ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأُئِمَّتِهَا وَقَدْ كَرِهَ مَالِكٌ وَغَيْرُهُ أَنْ يَقُولَ الْقَائِلُ: زُرْتُ قَبْرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهَذَا اللَّفْظُ لَمْ يُنْقَلْ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلْ الْأَحَادِيثُ الْمَذْكُورَةُ فِي هَذَا الْبَابِ مِثْلُ قَوْلِهِ: **"مَنْ زَارَنِي وَزَارَ أَبِي إِبْرَاهِيمَ فِي عَامٍ وَاحِدٍ ضَمِنْتُ لَهُ عَلَى اللَّهِ الْجَنَّةَ"**. وَقَوْلُهُ: **"مَنْ زَارَنِي بَعْدَ مَمَاتِي فَكَأَنَّمَا زَارَنِي فِي حَيَاتِي وَمَنْ زَارَنِي بَعْدَ مَمَاتِي حَلَّتْ عَلَيْهِ شَفَاعَتِي"** وَنَحْوَ ذَلِكَ كُلُّهَا أَحَادِيثُ ضَعِيفَةٌ بَلْ مَوْضُوعَةٌ لَيْسَتْ فِي شَيْءٍ مِنْ دَوَابِئِ الْإِسْلَامِ الَّتِي يُعْتَمَدُ عَلَيْهَا وَلَا نَقَلَهَا إِمَامٌ مِنْ أئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ لَا الْأَئِمَّةُ الْأَرْبَعَةُ وَلَا غَيْرُهُمْ؛ وَلَكِنْ رَوَى بَعْضُهَا الْبَزَّازُ وَالِدَّارُفُطْنِي وَنَحْوُهُمَا بِأَسَانِيدٍ ضَعِيفَةٍ وَلِأَنَّ مِنْ عَادَةِ الدَّارُفُطْنِيِّ وَأَمْثَالِهِ يَذْكُرُونَ هَذَا فِي السُّنَنِ لِيُعْرِفَ وَهُوَ وَغَيْرُهُ يُبَيِّنُونَ ضَعْفَ الضَّعِيفِ مِنْ ذَلِكَ فَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْأُمُورُ الَّتِي فِيهَا شَرْكٌ وَبِدْعَةٌ هِيَ عَنْهَا عِنْدَ قَبْرِهِ وَهُوَ أَفْضَلُ الْخَلْقِ فَالْتَّهِي عَنْ ذَلِكَ عِنْدَ قَبْرِ غَيْرِهِ أَوَّلَى وَأَحْرَى.

((.



لها نذور وأوقاف مخصصة ... تجبى إليها عدا طيب وإيقاد

الشرح

بين الشاعر في هذه البيت ما يفعله القبوريون عند القبور فقال: **(لها نذور)** والنذر في اللغة: الإيجاب يقال: نذر دم فلان أي أوجب قتله.
والنذر عبادة لا تكون إلا لله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [البقرة: ٢٧٠].

وروى البخاري (٦٦٩٦) عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((**مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ فَلَا يَعْصِهِ**)).

وقد صرفت كثير من النذور لأهل القبور وكثير منها من قبيل النذر المعلق فاجتمع في كثير من النذور الشرك في توحيد الألوهية والربوبية معاً، فيقول قائلهم: يا فلان - ينادي الميت - إن شفيت مريضتي أو رددت ضالتي، أو حملت زوجتي، أو عاد غائبي فلك كذا وكذا فهو مع صرفه لعبادة النذر ووقوعه في الشرك في الألوهية يعتقد في الميت أنه يشفي من المرض، ويعطي الولد وغير ذلك مما احتص الله تعالى به وهذا شرك في توحيد الربوبية لم يقع فيه أبو لهب ولا أبو جهل ولا غيرهما من صناديد المشركين.

والله عز وجل يقول: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨].

ويقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادُ أَمْثَلُكُمْ فَأَدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [١١٤] **أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنْظَرُونَ** [الأعراف: ١٩٤ - ١٩٥].

ويقول: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكَ كُمْ اللَّهُ رُبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ فِطْمِيرٍ﴾ [١٣] **إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكَكُمْ وَلَا يَنْتَفِكُ عَنْكُمْ خَيْرٌ** [فاطر: ١٣ - ١٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله كما في [مجموع الفتاوى] (٣٣ / ١٢٣):

((وَالنَّذْرُ لِلْمَخْلُوقَاتِ أَعْظَمُ مِنَ الْحَلْفِ بِهَا فَمَنْ نَذَرَ لِمَخْلُوقٍ لَمْ يَنْعَقِدْ نَذْرُهُ وَلَا وَفَاءَ عَلَيْهِ بِاتِّفَاقِ الْعُلَمَاءِ: مِثْلُ مَنْ يُنَذِرُ لِمَيِّتٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمَشَائِخِ وَغَيْرِهِمْ كَمَنْ يُنَذِرُ لِلشَّيْخِ جَاكِرٍ. وَأَيُّ الْوَفَاءِ أَوْ الْمُنتَظَرِ أَوْ السَّتِّ نَفِيسَةٍ أَوْ لِلشَّيْخِ رَسَلَانٍ أَوْ غَيْرِ هَؤُلَاءِ وَكَذَلِكَ مَنْ نَذَرَ لِعَبْدٍ هَؤُلَاءِ: زَيْتًا أَوْ شَمْعًا أَوْ سُتُورًا أَوْ نَقْدًا: ذَهَبًا أَوْ دَرَاهِمَ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ: فَكُلُّ هَذِهِ النُّذُورِ مُحَرَّمَةٌ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ وَلَا يَجِبُ؛ بَلْ وَلَا يَجُوزُ الْوَفَاءُ بِهَا بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ وَإِنَّمَا يُوفِي بِالنَّذْرِ إِذَا كَانَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَكَانَ طَاعَةً؛ فَإِنَّ النَّذْرَ لَا يَجُوزُ إِلَّا إِذَا كَانَ عِبَادَةً وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُعْبَدَ اللَّهُ إِلَّا بِمَا شَرَعَ. فَمَنْ نَذَرَ لِعَبْدٍ لِلَّهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ أَعْظَمُ مِنْ شُرْكَ الْحَلْفِ بِغَيْرِ اللَّهِ وَهُوَ كَالسُّجُودِ لِعَبْدٍ لِلَّهِ)).

قلت: وأصل النذر للموتى جاء من جهة النصارى وانتشر في كثير من الجهال الذين ينتسبون إلى الإسلام، فصار كثير من جهال الناس ينذر النذور للموتى من أجل أن يتقرب إليهم فيغيثونه عند الشدائد فإذا ألت به شدة بعد ذلك فإنه يتجه إلى ذلك الذي نذر له النذور فيجد ذلك الميت قد جاءه وأغاثه من شدته وإنما هو شيطان تصور بصورة ذلك الميت ليغويه ويضلّه، وإذا بهذا الجاهل يزداد تعلقه بهذا الميت ويكثر من صرف النذور له ويلق القلب به وينسى ربه بالكلية والعياذ بالله تعالى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى كما في [مجموع الفتاوى] (١٧/ ٤٥٥-٤٥٨):

((فَإِنَّ النَّصَارَى يُصَوِّرُونَ فِي الْكَنَائِسِ صُورَ مَنْ يُعَظَّمُونَهُ مِنَ الْإِنْسِ غَيْرِ عِيسَى وَآمِهِ: مِثْلُ مَارَ جَرَجِسَ وَغَيْرِهِ مِنْ الْقَدَادِيسِ وَيَعْبُدُونَ تِلْكَ الصُّورَ وَيَسْأَلُونَهَا وَيَدْعُونَهَا وَيُعَرِّبُونَ لَهَا الْقَرَابِينَ وَيَنْذِرُونَ لَهَا النُّذُورَ وَيَقُولُونَ هَذِهِ تُذَكِّرُنَا بِأُولَئِكَ الصَّالِحِينَ. وَالشَّيَاطِينُ تُضِلُّهُمْ كَمَا كَانَتْ تُضِلُّ الْمُشْرِكِينَ: تَارَةً بِأَنْ يَتَمَثَّلَ الشَّيْطَانُ فِي صُورَةِ ذَلِكَ الشَّخْصِ الَّذِي يُدْعَى وَيُعْبَدُ فَيُظَنُّ دَاعِيَهُ أَنَّهُ قَدْ أَتَى أَوْ يَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ صَوَّرَ مَلَكًا عَلَى صُورَتِهِ فَإِنَّ النَّصْرَانِيَّ مَثَلًا يَدْعُو فِي الْأَسْرِ وَغَيْرِهِ مَارَ جَرَجِسَ أَوْ غَيْرِهِ فَيَرَاهُ قَدْ أَتَاهُ فِي الْهَوَاءِ وَكَذَلِكَ أُخْرَ غَيْرُهُ وَقَدْ سَأَلُوا بَعْضَ بطَارِقَتِهِمْ عَنْ هَذَا كَيْفَ يُوجَدُ فِي هَذِهِ الْأَمَاكِنِ فَقَالَ: هَذِهِ مَلَائِكَةُ يَخْلُقُهُمُ اللَّهُ عَلَى صُورَتِهِ تُغِيثُ مَنْ يَدْعُوهُ وَإِنَّمَا تِلْكَ شَيَاطِينُ أَضَلَّتِ الْمُشْرِكِينَ. وَهَكَذَا كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ وَالضَّلَالِ وَالشُّرْكِ الْمُتَنَسِّبِينَ إِلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ فَإِنَّ أَحَدَهُمْ يَدْعُو وَيَسْتَعِيثُ بِشَيْخِهِ الَّذِي يُعَظَّمُهُ وَهُوَ مَيِّتٌ أَوْ يَسْتَعِيثُ بِهِ عِنْدَ قَبْرِهِ وَيَسْأَلُهُ وَقَدْ يَنْذِرُ لَهُ نَذْرًا وَنَحْوَ ذَلِكَ وَيَرَى ذَلِكَ الشَّخْصَ قَدْ أَتَاهُ فِي الْهَوَاءِ وَدَفَعَ عَنْهُ بَعْضَ مَا يَكْرَهُ أَوْ كَلَّمَهُ بِبَعْضِ مَا سَأَلَهُ عَنْهُ وَنَحْوَ ذَلِكَ فَيَظُنُّهُ الشَّيْخُ نَفْسَهُ أَتَى إِنْ كَانَ حَيًّا حَتَّى آتَى أَعْرَفُ مِنْ هَؤُلَاءِ جَمَاعَاتٍ يَأْتُونَ إِلَى الشَّيْخِ نَفْسِهِ الَّذِي اسْتَعَاثُوا بِهِ وَقَدْ رَأَوْهُ أَتَاهُمْ فِي الْهَوَاءِ فَيَذْكُرُونَ ذَلِكَ لَهُ. هَؤُلَاءِ يَأْتُونَ إِلَى هَذَا الشَّيْخِ وَهَؤُلَاءِ يَأْتُونَ إِلَى هَذَا الشَّيْخِ فَتَارَةً يَكُونُ الشَّيْخُ نَفْسَهُ لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ بِتِلْكَ الْقَضِيَّةِ فَإِنْ كَانَ يُحِبُّ الرِّيَاسَةَ سَكَتَ وَأَوْهَمَ أَنَّهُ نَفْسُهُ أَتَاهُمْ وَأَعَاثَهُمْ وَإِنْ كَانَ فِيهِ صِدْقٌ مَعَ جَهْلٍ وَضَلَالٍ قَالَ: هَذَا مَلَكٌ صَوَّرَهُ اللَّهُ عَلَى صُورَتِي. وَجَعَلَ هَذَا مِنْ كَرَامَاتِ الصَّالِحِينَ وَجَعَلَهُ عُمْدَةً لِمَنْ يَسْتَعِيثُ بِالصَّالِحِينَ وَيَتَّخِذُهُمْ أَرْبَابًا وَأَتَاهُمْ إِذَا اسْتَعَاثُوا بِهِمْ بَعَثَ اللَّهُ مَلَائِكَةً عَلَى صُورِهِمْ تُغِيثُ الْمُسْتَعِيثَ بِهِمْ. وَلِهَذَا أَعْرَفُ غَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ الشُّيُوخِ الْأَكَابِرِ الَّذِينَ فِيهِمْ صِدْقٌ وَزُهْدٌ وَعِبَادَةٌ لَمَّا ظَنُّوا هَذَا مِنْ كَرَامَاتِ الصَّالِحِينَ صَارَ أَحَدُهُمْ يُوصِي مُرِيدِيهِ يَقُولُ: إِذَا كَانَتْ لِأَحَدِكُمْ حَاجَةٌ فَلْيَسْتَعِثْ بِي وَلْيَسْتَوَصِنِي وَيَقُولُ: أَنَا أَفْعَلُ بَعْدَ مَوْتِي مَا كُنْتُ أَفْعَلُ فِي حَيَاتِي وَهُوَ لَا يَعْرِفُ أَنَّ تِلْكَ شَيَاطِينُ تَصَوَّرَتْ عَلَى صُورَتِهِ لِتُضِلَّهُ وَتُضِلَّ أَتْبَاعَهُ فَتُحَسِّنَ لَهُمُ الْإِشْرَاقَ

بِاللَّهِ وَدُعَاءِ غَيْرِ اللَّهِ وَالِاسْتِعَاثَةِ بِغَيْرِ اللَّهِ وَأَنَّهَا قَدْ تُلْقِي فِي قَلْبِهِ أَنَّا نَفْعَلُ بَعْدَ مَوْتِكَ بِأَصْحَابِكَ مَا كُنَّا نَفْعَلُ بِهِمْ فِي حَيَاتِكَ فَيَظُنُّ هَذَا مِنْ حِطَابِ إلهِي أَلْتَقِي فِي قَلْبِهِ فَيَأْمُرُ أَصْحَابَهُ بِذَلِكَ وَأَعْرِفُ مِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ كَانَ لَهُ شَيَاطِينُ تَخْدُمُهُ فِي حَيَاتِهِ بِأَنْوَاعِ الْحَدَمِ مِثْلَ حِطَابِ أَصْحَابِهِ الْمُسْتَعِيشِينَ بِهِ وَإِعَانَتِهِمْ وَغَيْرِ ذَلِكَ فَلَمَّا مَاتَ صَارُوا يَأْتُونَ أَحَدَهُمْ فِي صُورَةِ الشَّيْخِ وَيُشْعِرُونَهُ أَنَّهُ لَمْ يَمُتْ وَيُرْسَلُونَ إِلَى أَصْحَابِهِ رَسَائِلَ بِحِطَابٍ وَقَدْ كَانَ يَجْتَمِعُ بِي بَعْضُ أَتْبَاعِ هَذَا الشَّيْخِ وَكَانَ فِيهِ زُهْدٌ وَعِبَادَةٌ وَكَانَ يُجِيبُنِي وَيُحِبُّ هَذَا الشَّيْخَ وَيَظُنُّ أَنَّ هَذَا مِنَ الْكَرَامَاتِ وَأَنَّ الشَّيْخَ لَمْ يَمُتْ وَذَكَرَ لِي الْكَلَامَ الَّذِي أَرْسَلَهُ إِلَيْهِ بَعْدَ مَوْتِهِ فَقَرَأَهُ فَإِذَا هُوَ كَلَامُ الشَّيَاطِينِ بَعَيْنِهِ وَقَدْ ذَكَرَ لِي غَيْرُ وَاحِدٍ مِمَّنْ أَعْرِفُهُمْ أَنَّهُمْ اسْتَعَاثُوا بِي فَرَأَوْنِي فِي الْهَوَاءِ وَقَدْ أَتَيْتُهُمْ وَخَلَصْتُهُمْ مِنْ تِلْكَ الشَّدَائِدِ مِثْلَ مَنْ أَحَاطَ بِهِ النَّصَارَى الْأَرْمَنُ لِيَأْخُذُوهُ وَآخِرُ قَدْ أَحَاطَ بِهِ الْعَدُوُّ وَمَعَهُ كُتُبٌ مُلَطَّفَاتٌ مِنْ مَنَاصِحِينَ لَوْ أَطْلَعُوا عَلَى مَا مَعَهُ لَقَتَلُوهُ وَنَحْوَ ذَلِكَ فَذَكَرْتُ لَهُمْ أَنِّي مَا ذَرَيْتُ بِمَا جَرَى أَصْلًا وَخَلَفْتُ لَهُمْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى لَا يَظُنُّوا أَنِّي كَتَمْتُ ذَلِكَ كَمَا تُكْتَمُ الْكَرَامَاتُ وَأَنَا قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الَّذِي فَعَلُوهُ لَيْسَ بِمَشْرُوعٍ بَلْ هُوَ شَرٌّ وَبِدْعَةٌ ثُمَّ تَبَيَّنَ لِي فِيَمَا بَعْدُ وَبَيَّنْتُ لَهُمْ أَنَّ هَذِهِ شَيَاطِينُ تَتَصَوَّرُ عَلَى صُورَةِ الْمُسْتَعَاثِ بِهِ . وَحَكَى لِي غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَصْحَابِ الشُّيُوخِ أَنَّهُ جَرَى لِمَنْ اسْتَعَاثَ بِهِمْ مِثْلَ ذَلِكَ وَحَكَى خَلْقٌ كَثِيرٌ أَنَّهُمْ اسْتَعَاثُوا بِأَحْيَاءٍ وَأَمْوَاتٍ فَرَأَوْا مِثْلَ ذَلِكَ وَاسْتَفْضَا هَذَا حَتَّى عَرَفَ أَنَّ هَذَا مِنَ الشَّيَاطِينِ وَالشَّيَاطِينُ تُغْوِي الْإِنْسَانَ بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ فَإِنْ كَانَ مِمَّنْ لَا يَعْرِفُ دِينَ الْإِسْلَامِ أَوْفَعَتْهُ فِي الشَّرِّ الظَّاهِرِ وَالْكَفْرِ الْمَخْصِرِ فَأَمَرَتْهُ أَنْ لَا يَذْكُرَ اللَّهَ وَأَنْ يَسْجُدَ لِلشَّيْطَانِ وَيَذْبَحَ لَهُ وَأَمَرَتْهُ أَنْ يَأْكُلَ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَيَفْعَلَ الْفَوَاحِشَ وَهَذَا يَجْرِي كَثِيرًا فِي بِلَادِ الْكُفْرِ الْمَخْصِرِ وَبِلَادٍ فِيهَا كُفْرٌ وَإِسْلَامٌ ضَعِيفٌ وَيَجْرِي فِي بَعْضِ مَدَائِنِ الْإِسْلَامِ فِي الْمَوَاضِعِ الَّتِي يَضْعُفُ إِيْمَانُ أَصْحَابِهَا حَتَّى قَدْ جَرَى ذَلِكَ فِي مِصْرَ وَالشَّامِ عَلَى أَنْوَاعٍ يَطُولُ وَصْفُهَا)) .

قلت: وهذه النذور التي تصرف لكثير من القبور لا ينتفع بها الميت وإنما يأكلها سدنة القبور الماكرين المحتالين على جهال الناس فيأكلون أموال الناس ويصدونهم عن السبيل وهو توحيد الله تعالى، كما قال الله تعالى عن إخوانهم من

الأخبار والرهبان: ﴿ يَتَابِعُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ

وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۚ ﴿٣٤﴾ [التوبة: ٣٤] .

ويزرع أولئك السدنة في قلوب الجاهلين تعظيم ذلك الميت والخوف منه بذكر بعض الكرامات المكذوبة حتى صار كثير من أولئك الجاهلين لا يخاف أن يعصي الله تعالى في حرمه، ويخاف من المعصية عند قبر ذلك الذي يعظمه والعياذ بالله تعالى .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: رحمه الله في [الرد على البكري] (٢/ ٥٦٣-٥٦٥):

((فعمار مساجد الله لا يخشون إلا الله وعمار مساجد المقابر يخشون غير الله ويرجون غير الله حتى إن طائفة من أصحاب الكبراء الذين لا يتحاشون فيما يفعلونه من القبائح كان إذا رأى قبة الميت أو الهلال الذي على رأس القبة خشى من فعل الفواحش ويقول أحدهم لصاحبه: ويحك هذا هلال القبة فيخشون المدفون تحت الهلال ولا يخشون الذي خلق السماوات والأرض وجعل أهلة السماء مواقيت للناس والحج .

وهؤلاء إذا نوظروا خوفوا مناظرهم كما صنع المشركون بإبراهيم عليه السلام قال تعالى: ﴿وَحَاجَّةُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (٨٠) وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٨٠، ٨١] قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

وآخرون قد جعلوا الميت بمنزلة الإله والشيخ الحي المتعلق به كالنبي فمن الميت يطلب قضاء الحاجات وكشف الكربات وأما الحي فالحلال ما حلله والحرام ما حرمه وكانوا في أنفسهم قد عزلوا الله عن أن يتخذوه إلهاً وعزلوا محمداً صلى الله عليه وسلم عن أن يتخذوه رسولاً وقد يجيء الحديث العهد بالإسلام أو التابع لهم لحسن الظن بهم أو غيره يطلب من الشيخ الميت إمّا دفع ظلم ملك يريد أن يظلمه أو غير ذلك فيدخل ذلك السادن فيقول: قد قلت للشيخ والشيخ يقول للنبي والنبي يقول لله والله قد بعث رسولاً إلى السلطان فلان. فهل هذا إلّا محض دين المشركين والنصارى وفيه من الكذب والجهل ما لا يستجيزه كل مشرك ونصراني ولا يروج عليه.

ويأكلون من النذور وما يؤتى به إلى قبورهم ما يدخلون به في معنى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤]. ويعوضون بأنفسهم ويمنعون غيرهم إذ التابع لهم يعتقد أنّ هذا هو سبيل الله ودينه فيمتنع بسبب ذلك عن الدين الحق الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه ((.

وقول الشاعر: (وأوقاف مخصصة) الأوقاف جمع وقف وهو في اللغة: الحبس، وشرعاً حبس العين وتسبيل الشجرة. والأوقاف عبادة لا يجوز صرفها إلى الله تعالى.

وقد روى البخاري (٢٧٣٧)، ومسلم (١٦٣٢) عَنِ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَصَابَ أَرْضًا بِحَيْرَ فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَأْذِنُ فِيهَا فَقَالَ: ((يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَصَبْتُ أَرْضًا بِحَيْرَ لَمْ أَصِبْ مَالًا قَطُّ أَنْفَسَ عِنْدِي مِنْهُ فَمَا تَأْمُرُ بِهِ قَالَ: "إِنْ شِئْتَ حَبَسْتَ أَصْلَهَا وَتَصَدَّقْتَ بِهَا". قَالَ فَتَصَدَّقَ بِهَا عُمَرُ أَنَّهُ لَا يُبَاعُ، وَلَا يُوهَبُ، وَلَا يُورَثُ وَتَصَدَّقَ بِهَا فِي الْفُقَرَاءِ وَفِي الْقُرْبَى وَفِي الرِّقَابِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَالصَّيْفِ لَا جُنَاحَ عَلَيَّ مَنْ وَلِيَهَا أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا بِالْمَعْرُوفِ وَيُطْعِمَ غَيْرَ مُتَمَوِّلٍ ((.

ومن أعجب ما ذكر في التاريخ في شأن الأوقاف التي صرفت لمن لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً ما قاله الحافظ ابن كثير رحمه الله في [البداية والنهاية] (١٢ / ٢٨) في حوادث سنة ثمان عشرة وأربعمائة:

((وفيها ورد كتاب من محمود بن سبكتكين يذكر أنه دخل بلاد الهند أيضاً، وأنه كسر الصنم الأعظم الذي لهم المسمى بسومنات، وقد كانوا يقدون إليه من كل فج عميق، كما يقد الناس إلى الكعبة البيت الحرام وأعظم، وينفقون عنده النفقات والأموال الكثيرة، التي لا توصف ولا تعد، **وكان عليه من الأوقاف عشرة آلاف قرية، ومدينة مشهورة، وقد امتلأت خزائنه أموالاً**، وعنده ألف رجل يخدمونه، وثلاثمائة رجل يخلقون رؤوس حجيجه، وثلاثمائة رجل يغنون ويرقصون على بابه، لما يضرب على بابه الطبول والبوقات، وكان عنده من المجاورين ألوف يأكلون من أوقافه، وقد كان البعيد من الهندو يتمنى لو بلغ هذا الصنم، وكان يعوقه طول المفاوز وكثرة الموانع والآفات، ثم استخار الله السلطان محمود لما بلغه خبر هذا الصنم وعباده، وكثرة الهندو في طريقه، والمفاوز المهلكة، والأرض الخطرة، في تحشم ذلك في جيشه، وأن يقطع تلك الأهوال إليه، فندب جيشه لذلك فانتدب معه ثلاثون ألفاً من المقاتلة، ممن اختارهم لذلك، سوى المتطوعة، فسلمهم الله حتى انتهوا إلى بلد هذا الوثن، ونزلوا بساحة عبادته، فإذا هو بمكان بقدر المدينة العظيمة، قال: فما كان بأسرع من أن ملكناه وقتلنا من أهله خمسين ألفاً وقلعنا هذا الوثن وأوقدنا تحته النار.

وقد ذكر غير واحد أن الهندو بذلوا للسلطان محمود أموالاً جزيلة ليرك لهم هذا الصنم الأعظم، فأشار من أشار من الأمراء على السلطان محمود بأخذ الأموال وإبقاء هذا الصنم لهم، فقال: حتى أستخير الله عز وجل، فلما أصبح قال: إني فكرت في الأمر الذي ذكر فرأيت أنه إذا نوديت يوم القيامة أين محمود الذي كسر الصنم؟ أحب إلي من أن يقال الذي ترك الصنم لأجل ما يناله من الدنيا، ثم عزم فكسره رحمه الله، فوجد عليه وفيه من الجواهر والآلئ والذهب والجواهر النفيسة ما ينيف على ما بذلوه له بأضعاف مضاعفة، ونرجو من الله له في الآخرة الثواب الجزيل الذي مثقال دانق منه خير من الدنيا وما فيها، مع ما حصل له من الثناء الجميل الدنيوي، فرحمه الله وأكرم مثواه)).

وقال العلامة الشوكاني رحمه الله في [شرح الصدور بتحرير رفع القبور] (ص: ١٤):

((وقد يجعل الشيطان طائفة من إخوانه من بني آدم يقفون على ذلك القبر، يخادعون من يأتي إليه من الزائرين، يهولون عليهم الأمر، ويصنعون أموراً من أنفسهم، وينسبونها إلى الميت على وجه لا يفتن له من كان من المغفلين. وقد يصنعون أكاذيب مشتملة على أشياء يسمونها كرامات لذلك الميت، ويبثونها في الناس، ويكررون ذكرها في مجالسهم، وعند اجتماعهم بالناس، فتشيع وتستفيض، ويتلقاها من يحسن الظن بالأموات، ويقبل عقله ما يروى عنهم من أكاذيب، فيرويهما كما سمعها، ويتحدث بها في مجالسه، فيقع الجهال في بلية عظيمة من الاعتقاد الشرقي، وينذرون على ذلك الميت كرائم أموالهم، ويحبسون على قبره من أملاكهم ما هو أحبها إلى قلوبهم، لاعتقادهم أنهم ينالون بجاه ذلك الميت خيراً عظيماً وأجراً كبيراً، ويعتقدون أن ذلك قرينة عظيمة، وطاعة نافعة، وحسنة متقبلة، فيحصل بذلك مقصود أولئك الذين جعلهم الشيطان من إخوانه من بني آدم على ذلك القبر.

فإنهم إنما فعلوا تلك الأفاعيل وهولوا على الناس بتلك التهاويل، وكذبوا تلك أكاذيب، لينالوا جانباً من الحطام من أموال الطغام الأعتماد. **وبهذه الذريعة الملعونة، والوسيلة الإبلسية تكاثرت الأوقاف على القبور، وبلغت مبلغاً عظيماً، حتى بلغت غلات ما يوقف على المشهورين منهم ما لو اجتمعت أوقافه لبلغ ما يقتاتاه أهل قرية كبيرة من قرى**

المسلمين. ولو بيعت تلك الحبائس الباطلة لأغنى الله بها طائفة عظيمة من الفقراء، وكلها من النذر في معصية الله .((

قلت: وصار كثير من هؤلاء الجهال لا يكاد يجعل وقفاً لبيت من بيوت الله تعالى وتشح نفسه بذلك، وإن فعل فشيء يسير، ومع ذلك فيجعل أنفوس أمواله وأكثرها لمن يعظمه من الموتى، وصار كثير من القبور لها من الأوقاف وديان واسعة بأكملها وهي مع ذلك تراعى حرمتها، وأما أوقاف المساجد فهي قليلة ويحتال عليها من هي بأيديهم بأنواع الحيل من أجل إبطال الوقف وتملكه.

وما أشبه حال هؤلاء بمن قال الله تعالى فيهم: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرْغِمِهِمْ وَهَذَا لَشُرْكَائِنَا فَمَا كَانُوا لَشُرْكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانُوا لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرْكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [الأنعام: ١٣٦].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: رحمه الله في [الرد على البكري] (٢/ ٦٧٣-٦٧٤):

((وكثير من هؤلاء يخربون المساجد ويعمرون المشاهد فتجد المسجد الذي بني للصلوات الخمس معطلاً مخرباً ليس له كسوة إلا من الناس وكأنه خان من الخانات والمشهد الذي بني على الميت عليه الستور وزينة الذهب والفضة والرخام والنذور تغدو وتروح إليه فهل هذا إلا من استخفافهم بالله تعالى وآياته ورسوله وتعظيمهم للشرك. فإنهم اعتقدوا أن دعاء الميت الذي بني له المشهد والاستغاثة به أنفع لهم من دعاء الله تعالى والاستغاثة به في البيت الذي بني لله عز وجل ففضلوا البيت الذي بني لدعاء المخلوق على البيت الذي بني لدعاء الخالق وإذا كان لهذا وقف ولهذا وقف كان وقف الشرك أعظم عندهم مضاهاة لمشركي العرب الذين ذكر الله تعالى حالهم في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرْغِمِهِمْ وَهَذَا لَشُرْكَائِنَا فَمَا كَانُوا لَشُرْكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانُوا لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرْكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [الأنعام: ١٣٦].

كانوا يجعلون لله زرعاً وماشية ولآلئهم زرعاً وماشية فإذا أصيب نصيب آلئهم أخذوا من نصيب الله تعالى فوضعوه فيه وقالوا: الله غني وآلئنا فقراء فيفضلون ما يجعل لغير الله تعالى على ما يجعل الله تعالى. وهكذا الوقوف والنذور التي تبذل عندهم للمشاهد أعظم عندهم مما تبذل للمساجد ولعمارة المساجد وللجهاد في سبيل الله تعالى .((

وقوله: **(عدا طيب وإيقاد)** أو وغير ذلك مما يفعل للقبور من إهداء الطيب لها والبخور، وهكذا تطيبها وتبخيرها. وقوله: **(وإيقاد)** أي إيقاد الشموع لها وغير ذلك من أمور الإضاءة، ويدخل في ذلك إيقاد الجامر لتبخيرها. وكل هذا من الغلو في القبور الذي أدى بسببه إلى عبادة المقبور من دون الله تعالى.

قال العلامة الشوكاني رحمه الله في [شرح الصدور بتحريم رفع القبور] (ص: ١٣):

((فلاشك ولا ريب أنَّ السبب الأعظم الذي نشأ منه هذا الاعتقاد في الأموات هو ما زينه الشيطان للناس من رفع القبور، ووضع الستور عليها، وتخصيصها وتزيينها بأبلغ زينة، وتحسينها بأكمل تحسن. فإنَّ الجاهل إذا وقعت عينه على قبر من القبور قد بنيت عليه قبة فدخلها، ونظر على القبور الستور الرائعة، والسرَج المتألُّة، وقد سطعت حوله مجامر الطيب، فلا شك ولا ريب أنَّه يمتلئ قلبه تعظيماً لذلك القبر، ويضيق ذهنه عن تصور ما لهذا الميت من المنزلة؟ ويدخله من الروعة والمهابة ما يزرع في قلبه جمن العقائد الشيطانية التي هي من أعظم مكائد الشيطان للمسلمين، وأشدَّ وسائله إلى ضلال العباد ما يزلزله عن الإسلام قليلاً قليلاً، حتى يطلب من صاحب ذلك القبر ما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه، فيصير في عداد المشركين.

وقد يحصل له هذا الشرك بأول رؤية لذلك القبر الذي صار على تلك الصفة وعند أول زورة له إذ لا بد أن يخطر بباله أنَّ هذه العناية البالغة من الأحياء بمثل هذا الميت لا تكون إلا لفائدة يرجونها منه، إمَّا دنيوية أو أخروية، فيستصغر نفسه بالنسبة إلى من يراه من أشباه العلماء زائراً لذلك القبر، وعاكفاً عليه ومتمسحاً بأركانه ((.



كذا القرايين تأتيها منوعة ... نعج ومعز وأبقار وأزواد

الشرح

ذكر الشاعر في هذه البيت بعض ما يحصل عند القبور من الأمور العظام الذي يفعله بعض الجهلة الطغام مما يندى له جبين الإسلام، ويتمزق منه قلوب الموحدين الكرام، تكاد الجبال تصير منه إلى انهدام، وتنفطر السماء وتنقسم عدة أقسام، وتنشق الأرض بعد التماسك واللائثام من ذبح بهيمة الأنعام، والتقرب بها إلى مخلوق ضعيف قد مات ونام، لا يستطيع أن يحرك من جسده حتى الإبهام، ويطلب منه ما يطلب من الخالق العلام، من تفريج الهموم وبرء الأسقام، فيا لله كم من دماء تراق لغير الخالق العلام، وبهائم تساق لغير البيت الحرام.

أعادوا بها معنى سواع ومثله ... يغوث وود بئس ذلك من ود
وقد هتفوا عند الشدائد باسمها ... كما يهتف المضطر بالصمد الفرد
وكم عقروا في سوحها من عقيرة ... أهلت لغير الله جهلاً على عمد

والله عز وجل يقول: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ۖ ﴾ [الكوثر: ٢].

ويقول: ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ ۚ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ۝ ﴾

﴿ ١٦٣ ﴾ [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣].

وروى البخاري (٥٤٧٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((لَا فَرْعَ، وَلَا عَتِيرَةَ)) وَالْفَرْعُ أَوَّلُ النَّتَاجِ كَانُوا يَذْبَحُونَهُ لَطَوَاغِيَّتِهِمْ وَالْعَتِيرَةُ فِي رَجَبٍ.

وروى مسلم (١٩٧٨) عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ عَامِرِ بْنِ وَاثِلَةَ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسِرُّ إِلَيْكَ قَالَ فَعَضِبَ وَقَالَ مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسِرُّ إِلَيَّ شَيْئًا يَكْتُمُهُ النَّاسَ غَيْرَ أَنَّهُ قَدْ حَدَّثَنِي بِكَلِمَاتٍ أَرْبَعٍ قَالَ فَقَالَ مَا هُنَّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ: قَالَ: ((لَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَهُ وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ آوَى مُحَدِّثًا وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ)).

وروى أبو داود (٣٣١٣) عَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ، قَالَ: نَذَرَ رَجُلٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَنْحَرَ إِبِلًا بِبَوَانَةَ فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنِّي نَذَرْتُ أَنْ أَنْحَرَ إِبِلًا بِبَوَانَةَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((هَلْ كَانَ فِيهَا وَثْنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ))؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: ((هَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ))؟ قَالُوا: لَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((أَوْفِ بِنَذْرِكَ، فَإِنَّهُ لَا وَفَاءَ لِنَذْرِ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ)).

قلت: وهذا يدل على أنَّ الذبح للأوثان كان مما يفعله المشركون مع أوثانهم، وهذا الحديث يدل على تحريم مشاهجة المشركين في الذبح لغير الله تعالى مع أنَّ الذابح لا يذبح إلا لله تعالى فكيف بمن ذبح لغير الله تعالى فأمره أشد وأشد، والذبح من أعظم العبادات والقربات لما فيها من غاية الذل والخضوع لرب الأرض والسموات، ولهذا حرص على هذه العبادة كل مشرك مع من يعبد من دون الله تعالى.

❦ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في [مجموع الفتاوى] (١٧ / ٤٨٤):

((وَلِهَذَا كَانَ عِبَادُ الشَّيَاطِينِ وَالْأَصْنَامِ يَذْبَحُونَ لَهَا الذَّبَائِحَ أَيْضًا فَالذَّبْحُ لِلْمَعْبُودِ غَايَةُ الدُّلِّ وَالْخُضُوعِ لَهُ. وَلِهَذَا لَمْ يَجْزِ الذَّبْحُ لِعَيْرِ اللَّهِ وَلَا أَنْ يُسَمَّى غَيْرُ اللَّهِ عَلَى الذَّبَائِحِ)).

❦ قلت: والذبح لغير الله تعالى شرك أكبر مخرج عن ملة الإسلام.

❦ وقوله: (وأزواد) الأزواد جمع زاد وهو طعام السَّفَرِ والحَضَرِ.



يحجها الناس كالبیت الحرام على ... مر الزمان جماعات أفراد

الشرح

أقول: هذه هي الداهية الدهياء، والشرعة النكراء، والجهالة الظلماء، المنتشرة في كثير من البلدان التي يحل بها الجهل ويضعف فيها العلم، حيث يجعلون لبعض القبور مناسكاً ويضعون في ذلك كتباً يسمونها كتب حج المشاهد فيجعلون القبور كالبیت المعمور فيأتونها في زمن محدد مقدور وفي بعض الشهور كما يفعل من يريد منسك الحج إلى البیت المعمور، وينسكون عندها منسك الحج، ويأتون من كل فج، ويلبون بالعج، ويطوفون حول القباب حتى تتهتز وترتج، فإذا انتهوا من مناسكهم حلقوا الرؤوس، وذبحوا القرابين وقالوا: الحج هو العج والشج. وبلغ حجاج بعض القبور ما يضاهي حجاج البیت الحرام أو أكثر منهم. كما هو الحال في حجاج قبر البدوي، وقبر الحسين بن علي رضي الله عنه.

قال السخاوي في [المسبوك في نيل السلوك] (ص ١٧٦): ((جاء الحجاج هذه السنة لسيد أحمد البدوي من الشام وحلب ومكة، أكثر من حجاج الحرمين)).

والله عز وجل يقول: ﴿وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ اِلَيْهِ سَبِيْلًا وَمَنْ كَفَرَ فَاِنَّ اللّٰهَ غَفِيْرٌ عَنِ الْعٰلَمِيْنَ﴾ (١٧) [آل عمران: ٩٧]

وقال الله تعالى: ﴿اِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللّٰهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ اَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ اَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَاِنَّ اللّٰهَ شَاكِرٌ عَلِيْمٌ﴾ (١٨٨) [البقرة: ١٥٨].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في [إغاثة اللهفان] (١/ ١٩٤):

((فلو رأيت غلاة المتخذين لها عيداً، وقد نزلوا عن الأكوار والدواب إذا رأوها من مكان بعيد، فوضعوا لها الجباه، وقبلوا الأرض وكشفوا الرؤوس، وارتفعت أصواتهم بالضجيج، وتباكوا حتى تسمع لهم النشيج، ورأوا أنهم قد أربوا في الريح على الحجيج، فاستغاثوا بمن لا ييدي ولا يعيد، ونادوا ولكن من مكان بعيد، حتى إذا دنوا منها صلوا عند القبر ركعتين ورأوا أنهم قد أحرزوا من الأجر ولا أجر من صلى إلى القبليتين، فتراهم حول القبر ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الميت ورضواناً، وقد ملئوا أكفهم خيبة وخسراناً، فلغير الله، بل للشيطان ما يراق هناك من العبرات، ويرتفع من الأصوات، ويطلب من الميت من الحاجات ويسأل من تفريج الكربات، وإغناء ذوي الفاقات، ومعاذة أولي العاهات والبلديات، ثم انبثوا بعد ذلك حول القبر طائفين، تشبيهاً له بالبیت الحرام، الذي جعله الله مباركاً وهدى للعالمين، ثم أخذوا في التقبيل والاستلام، أرأيت الحجر الأسود وما يفعل به وفد البیت الحرام؟ ثم عفروا لديه تلك الجباه والحدود، التي يعلم الله أنها لم تغفر كذلك بين يديه في السجود. ثم كملوا مناسك حج القبر بالتقصير هناك والحلاق، واستمتعوا بخلاقهم من ذلك الوثن إذ لم يكن لهم عند الله من خلاق، وقربوا لذلك الوثن القرابين. وكانت صلاتهم ونسكهم وقربانهم لغير الله رب العالمين، فلو رأيتهم يهنيئ

بعضهم بعضاً ويقول: أجزل الله لنا ولكم أجراً وافراً وحظاً، فإذا رجعوا سألهم غلاة المتخلفين أن يبيع أحدهم ثواب حجة القبر بحج المتخلف إلى البيت الحرام، فيقول: لا، ولو بحجك كل عام. هذا، ولم نتجاوز فيما حكيناه عنهم، ولا استقصينا جميع بدعهم وضلالهم. إذ هي فوق ما يخطر بالبال، أو يدور في الخيال. ((

❦ وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله [مجموع الفتاوى] (١٧ / ٤٩٨):

((وأما المشاهد فيعظمونها أكثر من المساجد حتى قد يرون أن زيارتها أولى من حج بيت الله الحرام ويسمونها الحج الأكبر وصنف ابن المفيد منهم كتاباً سماه "مناسك حج المشاهد" وذكر فيه من الأكاذيب والأقوال ما لا يوجد في سائر الطوائف. ((

❦ وقال العلامة ابن القيم رحمه الله في [إغاثة اللهفان] (١ / ١٩٧):

((وقد آل الأمر بهؤلاء الضلال المشركين إلى أن شرعوا للقبور حجاً، ووضعوا له مناسك، حتى صنف بعض غلاتهم في ذلك كتاباً وسماه "مناسك حج المشاهد" مضاهاه منه بالقبور للبيت الحرام، ولا يخفى أن هذا مفارقة لدين الإسلام، ودخول في دين عباد الأصنام. ((



يظنها الحمق والجهال آلهة ... لهم مع الله تدبير وإيجاد

الشرح

أقول: من تقدم من المشركين يسمون ما يعبدونه آلهة كما قال الله تعالى: ﴿وإذا رءاك الذين كفروا إنَّ يخذونك إلا هزواً بهذا الذي يذكره الهتكُم وهم بذكر الرحمن هم كفرون﴾ (٣٦) [الأنبياء: ٣٦].

وقال: ﴿قالوا حرقوه وأنصروا الهتكُم إن كنتم فاعلين﴾ (٦٨) [الأنبياء: ٦٨].

وقال الله تعالى: ﴿وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على الهتكُم إن هذا لشيء يراد﴾ (٦) [ص: ٦].

وقال: ﴿وقالوا لا نذرنا الهتكُم ولا نذرنا وداً ولا سواعاً ولا يعوثاً ويعوقاً ونسراً﴾ (٢٣) [نوح: ٢٣].

لكن أولئك المشركين لم يعتقدوا فيها الخلق والتدبير وإنما اتخذوهم شفعاء، ووسائط تقرهم إلى الله زلفى.

قال الله تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون﴾ (١١) الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويفقدر لهم إن الله بكل شيء عليم (١٢) ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون (١٣).

وقال: ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون﴾ (٢٥) [لقمان: ٢٥].

وقال: ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل أفرء يشم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضربه أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون﴾ (٢٨) [الزمر: ٣٨].

وقال: ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم﴾ (٩) [الزحرف: ٩].

وقال: ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون﴾ (٨٧) [الزحرف: ٨٧].

وقال: ﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا ننطق﴾ (٣١) فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى نصره﴾ (٣٢) [يونس: ٣١ - ٣٢].

وقال: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَنْقُوبُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ فِي يَدَيْهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ [المؤمنون: ٨٦ - ٨٩].

فأولئك المشركون اعتقدوا في آلهتهم أنَّها تقربهم إلى الله زلفى كما قال الله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ (٢) [الزمر: ٣].

وقال الله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَتُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَنْتِفُونَ لِلَّهِ إِمَّا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (١٨) [يونس: ١٨].

وأما المشركون في أزماننا وقبل أزماننا ممن يدعون الانتساب إلى الإسلام فيأثم يزعمون في الأموات الذين يسموهم أولياء الخلق والرزق والمدد والنصر، وعلم الغيب وغير ذلك مما اختص الله تعالى به. ومن أهل الشرك من يعبد أناساً لا وجود لهم ويعتقدون فيهم ما لا يكون إلا لرب العالمين كاعتقادهم بالغيوث والنجباء والنقباء والأوتاد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله كما في [مجموع الفتاوى] (٢٧ / ٩٧):

((وَكَذَلِكَ عَنِ الْغَوْثِ مَا يَقُولُهُ بَعْضُهُمْ مِنْ أَنَّ فِي الْأَرْضِ ثَلَاثُمِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا يُسَمُّونَهُمْ "النُّجَبَاءُ" فَيَنْتَقِي مِنْهُمْ سَبْعُونَ هُمْ "النُّجَبَاءُ" وَمِنْهُمْ أَرْبَعُونَ هُمْ "الْأَبْدَالُ" وَمِنْهُمْ سَبْعَةٌ هُمْ "الْأَقْطَابُ" وَمِنْهُمْ أَرْبَعَةٌ هُمْ "الْأَوْتَادُ" وَمِنْهُمْ وَاحِدٌ هُوَ "الْغَوْثُ" وَأَنَّهُ مُقِيمٌ بِمَكَّةَ وَأَنَّ أَهْلَ الْأَرْضِ إِذَا نَابَهُمْ نَائِبَةٌ فِي رِزْقِهِمْ وَنَصْرِهِمْ فَرَعُوا إِلَى الثَّلَاثُمِائَةِ وَبِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا وَأُولَئِكَ يَفْرَعُونَ إِلَى السَّبْعِينَ وَالسَّبْعُونَ إِلَى الْأَرْبَعِينَ وَالْأَرْبَعُونَ إِلَى السَّبْعَةِ وَالسَّبْعَةُ إِلَى الْأَرْبَعَةِ وَالْأَرْبَعَةُ إِلَى الْوَاحِدِ. وَبَعْضُهُمْ قَدْ يَزِيدُ فِي هَذَا وَيُنْقِصُ فِي الْأَعْدَادِ وَالْأَسْمَاءِ وَالْمَرَاتِبِ؛ فَإِنَّ هُمْ فِيهَا مَقَالَاتٍ مُتَعَدِّدَةً حَتَّى يَقُولَ بَعْضُهُمْ إِنَّهُ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى الْكَعْبَةِ وَرَقَّةَ خَضْرَاءَ بِاسْمِ غَوْثِ الْوَقْتِ وَاسْمِ خَضِرِهِ - عَلَى قَوْلٍ مَنْ يَقُولُ مِنْهُمْ: إِنَّ الْخَضِرَ هُوَ مَرْتَبَةٌ وَإِنَّ لِكُلِّ زَمَانٍ خَضِرًا فَإِنَّ هُمْ فِي ذَلِكَ قَوْلَيْنِ - وَهَذَا كُلُّهُ بَاطِلٌ لَا أَصْلَ لَهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَلَا سُنَّةِ رَسُولِهِ وَلَا قَالَهُ أَحَدٌ مِنْ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَلَا أَئِمَّتِهَا وَلَا مِنْ الْمَشَايِخِ الْكِبَارِ الْمُتَقَدِّمِينَ الَّذِينَ يَصْلُحُونَ لِلْإِقْتِدَاءِ بِهِمْ)) .

ومن هذا الباب وهو باب تأليه غير الله تعالى من حيث المعنى وإن لم يسموا ذلك ما قاله علي بن سليمان المزني في مدح علي بن أبي طالب - رضي الله عنه:

أبا حسن أنت زوج البتول ... وجنب الإله ونفس الرسول
وبدر الكمال وشمس العقول ... ومملوك رب وأنت الملك

دعاك النبي بيوم الكدير ... ونص عليك بأمر الغدير
لأنك للمؤمنين الأمير ... وعقد ولايته قلداً
إليك تصير جميع الأمور ... وأنت العليم بذات الصدور
وأنت المبعثر ما في القبور ... وحكم القيامة بالنص لك
وأنت السميع وأنت البصير ... وأنت على كل شيء قدير
ولولاك ما كان نجم يسير ... و لا دار لولاك الفلك
وأنت بكل البرايا عليم ... كليماً فسبحان من كونك
ولولاك ما كان موسى الكليم ... كليماً فسبحان من كونك
سترى سر أسمك في العالمين ... فحبك كالشمس فوق الجبين
وبغضك في أوجه المبغضين ... كقير فلا فاز من أبغضك
فمن ذاك كان ومن ذا يكون ... وما الأنبياء وما المرسلون
وما القلم اللوح ما العالمون ... وكل عبيد ممالك لك
أبا حسن يا مدير الوجود ... وكهف الطريد ومأوى الوفود
ومسقي محبيك يوم الورود ... ومنكر في البعث من أنكرك
أبا حسن يا علي الفخار ... ولأءك لي في ضريحي منار
واسمك لي في المضيق الشعار ... وحبك مدخلي جنتك
بك المزيدي علي دخيل ... إذا جاء أمر الإله الجليل
ونادى المنادي الرحيل الرحيل ... وحاشاك تترك من لا ذ بك.
فتأمل في هذا المشرك المخدول كيف ناقض الفطر والعقول فجعل لعلّي ما لا يكون لملك ولا رسول.
فهذا الشرك القبيح الواضح لم يوجد في مشركي قوم نوح ولا قوم هود ولا قوم صالح.
فكم حصل من كثير من أهل الغواية من شرك شنيع للغاية تحت مسمى الولاية، فيعتقدون في الولي أنواعاً من الشرك
الجلي، فيرون أنّ همومهم بسؤاله تنجلي، وأنهم أسرع في إجابة دعائهم من القريب العلي، فيا لله كم أحدث المشركون من
حدث في الدين تُدمى منه قلوب الموحدين، وقد تجاوزوا به شرك من تقدم من المشركين الملحدين.
وقد سمى كثير من الزائغين ما ينقلونه من الشرك الصريح، والباطل القبيح كرامات للأولياء، وألفوا في ذلك كتباً سطروا فيه
من الأفك والحال ما لا يخطر على البال ولا يقع في الخيال.



يستمطروهم إذا ما الغيث أخلفهم ... بلى كما استمطرت أصنامهم عادٌ

الشرح

أقول: بين الشاعر سدده الله ما يحصل من المشركين في زمنه، وقبل زمنه من التجائهم إلى قبور الموتى عند نزول القحط، ويطلبون منهم الغوث بإنزال المطر. والغيث لا ينزله إلا رب العالمين، ولا قدرة لأحد من الخلق على تنزيله.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان: ٣٤].

وقال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾ [الشورى: ٢٨].

وقال الله تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَبَابًا حَذَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَوَلَمْ مَعَ اللَّهُ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعِدُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [النمل: ٦٠].

وقول الشاعر وفقه الله: (بلى كما استمطرت أصنامهم عادٌ) ليس بصحيح فإن عاداً إنما طلبوا السقيا من رب العالمين، ولم يطلبوا ذلك من أصنامهم، ولم يكونوا يعتقدون في أصنامهم أنها تنزل الأمطار.

فقد روى أحمد (١٦٠٤٩) من طريق أبي وائل، عن الحارث بن حسان قال: ((مَرَزْتُ بِعَجُوزٍ بِالرَّبَذَةِ مُنْقَطِعٍ بِهَا، مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، قَالَ: فَقَالَتْ: أَيْنَ تُرِيدُونَ؟ قَالَ: فَقُلْتُ: تُرِيدُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ: فَاحْمِلُونِي مَعَكُمْ فَإِنِّي لِي إِلَيْهِ حَاجَةٌ. قَالَ: فَدَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا هُوَ غَاصٌّ بِالنَّاسِ، وَإِذَا رَايَةً سَوْدَاءَ تَخْفِقُ، فَقُلْتُ: مَا شَأْنُ النَّاسِ الْيَوْمَ؟ قَالُوا: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرِيدُ أَنْ يَبْعَثَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَجْهًا، قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَجْعَلَ الدَّهْنَاءَ حِجَارًا بَيْنَنَا، وَبَيْنَ بَنِي تَمِيمٍ، فَافْعَلْ فَإِنَّهَا كَانَتْ لَنَا مَرَّةً، قَالَ: فَاسْتَوْفَزَتِ الْعَجُوزُ، وَأَخَذَتْهَا الْحَمِيَّةُ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيْنَ تَضْطَرُّ مُضْرَكَ؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَمَلْتُ هَذِهِ وَلَا أَشْعُرُ أَنَّهَا كَائِنَةٌ لِي خَصَمًا، قَالَ: قُلْتُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وَمَا قَالَ الْأَوَّلُ؟" قَالَ: عَلَى الْخَبِيرِ سَقَطَتْ - يَقُولُ سَلَامٌ: هَذَا أَحْمَقُ، يَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَلَى الْخَبِيرِ سَقَطَتْ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "هِيَ" يَسْتَطْعِمُهُ الْحَدِيثُ، قَالَ: إِنَّ عَادًا أَرْسَلُوا وَافِدَهُمْ قَيْلًا، فَنَزَلَ عَلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرٍ شَهْرًا يَسْقِيهِ الْحُمْرَ، وَتُعْنِيهِ الْجَرَادَاتَانِ، فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَى جِبَالَ مُهْرَةَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي لَمْ آتِ لِأَسِيرِ أَقَادِيهِ، وَلَا لِمَرِيضٍ فَأَدَاوِيهِ، فَاسْقِ عَبْدَكَ مَا كُنْتُ سَاقِيَهُ، وَاسْقِ مُعَاوِيَةَ بْنَ بَكْرٍ شَهْرًا - يَشْكُرُ لَهُ الْحُمْرَ الَّتِي شَرَبَهَا عِنْدَهُ - قَالَ: فَمَرَّتْ سَحَابَاتٌ سَوْدٌ فَنُودِي أَنْ أَخُذَهَا رَمَادًا، رَمِدًا لَا تَذَرُ مِنْ عَادٍ أَحَدًا)).

قَالَ أَبُو وَائِلٍ: فَبَلَعَنِي أَنَّ مَا أُرْسِلَ عَلَيْهِمْ مِنَ الرِّيحِ كَقَدْرِ مَا يَجْرِي فِي الْحَنَاقِ.

❦ ورواه الترمذي (٣٢٧٣) لكنه أجهم اسم الصحابي. ولفظه عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ رَجُلٍ، مِنْ رِبِيعَةَ قَالَ: ((قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرْتُ عِنْدَهُ وَافِدَ عَادٍ ، فَقُلْتُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ وَافِدِ عَادٍ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وَمَا وَافِدُ عَادٍ؟" قَالَ: فَقُلْتُ: عَلَى الْحَبِيرِ بِهَا سَقَطَتْ، إِنَّ عَادًا لَمَّا أُفْحِطَتْ بَعَثَتْ قَبِيلًا فَنَزَلَ عَلَى بَكْرِ بْنِ مُعَاوِيَةَ فَسَقَاهُ الْحَمْرَ وَغَنَّتْهُ الْجَرَادَاتَانِ، ثُمَّ خَرَجَ يُرِيدُ جِبَالَ مَهْرَةَ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي لَمْ آتِكَ لِمَرِيضٍ فَأُذَوِيهِ وَلَا لِأَسِيرٍ فَأُفَادِيَهُ، فَاسْقِ عَبْدَكَ مَا كُنْتُ مُسْقِيَهُ، وَاسْقِ مَعَهُ بَكْرَ بْنَ مُعَاوِيَةَ، يَشْكُرُ لَهُ الْحَمْرَ الَّتِي سَقَاهُ، فَرَفَعَ لَهُ سَحَابَاتٌ، فَقِيلَ لَهُ: اخْتَرِ إِحْدَاهُمَا، فَاخْتَارَ السُّودَاءَ مِنْهُنَّ، فَقِيلَ لَهُ: خُذْهَا رَمَادًا رَمِيدًا، لَا تَذُرْ مِنْ عَادٍ أَحَدًا، وَذَكَرَ أَنَّهُ لَمْ يُرْسَلْ عَلَيْهِمْ مِنَ الرِّيحِ إِلَّا قَدْرُ هَذِهِ الْحَلَقَةِ، يَعْنِي حَلَقَةَ الْحَاتِمِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالْزَّمِيمِ﴾ (الآية ١١)).

قلت: هذا حديث حسن.

وفي هذا الحديث أَنَّ عَادًا اسْتَمَطَرُوا رَهِمَ وَلَمْ يَسْتَمَطَرُوا أَصْنَامَهُمْ، وَهَذَا هُوَ حَالُ الْمُشْرِكِينَ الْقَدَامَى فَإِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْتَقِدُونَ فِي أَصْنَامِهِمْ أَنَّهُ تَنْزِلُ الْأَمْطَارُ، وَإِنَّمَا كَانُوا يَتَّخِذُونَهُمْ شَفْعَاءَ كَمَا سَبَقَ بَيَانُ ذَلِكَ، وَكَانُوا يَعْتَرِفُونَ أَنَّ الَّذِي يَنْزِلُ الْمَطَرُ هُوَ رَبُّ الْعَالَمِينَ سُبْحَانَهُ.

❦ قال الله تعالى: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لِيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (١٣) [العنكبوت: ٦٣].



ويهتفون بهم في كل نازلة ... يستجدوهم وهل في الطين إنجاد

الشرح

بين الشاعر في هذه البيت ما عليه المشركون الذين عبدوا من يسموهم الأولياء والصالحين وكيف أتهم إذا نزلت بهم الشدائد يطلبون منهم النجدة، وهذا أمر لم يكن يفعله المشركون مع أوثانهم فإنهم كانوا لا يلتفتون إلى أصنامهم عند الشدة بل يدعون الله مخلصين له الدين كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ٦٧﴾ [الإسراء: ٦٧].

وقال: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَبِّحُكَ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَجَبْنَاهُمْ مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ٢٢﴾ فَلَمَّا أَجَبْنَاهُمْ إِذَا هُمْ يَتَّعُونَ فِي الْأَرْضِ بَعِيرٌ أَلْحَىٰ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيَكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ٢٣﴾ [يونس: ٢٢ - ٢٣].

وقال: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ٦٥﴾ [العنكبوت: ٦٥].

وقال: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظَّلِيلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْنَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ٣٢﴾ [لقمان: ٣٢].

ومن عجيب ما وقع به المشركون في هذه الأزمان وقبل ذلك أتهم استبدلوا نداء ما يسمونه بالولي موضع التسمية فإذا تعثر أحدهم قال: يا ابن علوان، أو يا عيدروس، يا جيلاني، أو يا أهذل وغير ذلك، ولا يلهج بقوله: بسم الله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في [الرد على البكري] (١/ ٢٦٠):

((وقد نص غير واحد من أهل العلم على أنه لا يجوز سؤال الله بالأنبياء والصالحين فكيف بالاستغاثة بهم مع أن الاستغاثة بالميت والغائب مما لا يعلم بين أئمة المسلمين نزاع في أن ذلك من أعظم المنكرات ومن كان عالماً بآثار السلف علم أن أحداً منهم لم يفعل هذا وإنما كانوا يتوسلون بدعائهم أحياء فيسألونهم أن يسألوا الله لهم مع سؤالهم هم الله كما قال عمر بن الخطاب: اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فنتسقين وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون)).

وقال رحمه الله كما في [مجموع الفتاوى] (١٥ / ٥٠):

((وَالَّذِينَ يَجْعَلُونَ دُعَاءَ الْمَوْتَى أَفْضَلَ مِنْ دُعَاءِ اللَّهِ: مِنْهُمْ مَنْ يَحْكِي أَنَّ بَعْضَ الْمُرِيدِينَ اسْتَعَاثَ بِاللَّهِ فَلَمْ يُعِثْهُ وَاسْتَعَاثَ بِشَيْخِهِ فَأَعَاثَهُ وَأَنَّ بَعْضَ الْمَأْسُورِينَ دَعَا اللَّهَ فَلَمْ يُخْرِجْهُ فَدَعَا بَعْضَ الْمَوْتَى؛ فَجَاءَهُ فَأَخْرَجَهُ إِلَى بِلَادِ الْإِسْلَامِ. وَآخَرُ قَالَ: قَبِرُ فَلَانِ التَّرِيفِيُّ الْمُجَرَّبُ. وَمِنْهُمْ مَنْ إِذَا نَزَلَ بِهِ شِدَّةٌ لَا يَدْعُو إِلَّا شَيْخَهُ قَدْ لَهَجَ بِهِ كَمَا يَلْهَجُ الصَّبِيُّ بِذِكْرِ أُمِّهِ.))

وَقَدْ قَالَ تَعَالَى لِلْمُوحِّدِينَ: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ وَقَدْ قَالَ شُعَيْبٌ: ﴿يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِّنَ اللَّهِ﴾ ((

وقول الشاعر سدده الله: (وهل في الطين إنجاد) يعني أنَّ أولئك الذين يدعون من دون الله تعالى قد صاروا تراباً فكيف يطلب العبد من التراب النجدة عند نزول الشدة به.



ويسألونهم من الأشياء قاطبة... يا هول ما بلغوا في الشرك واعتادوا

الشرح

بيّن الشاعر ما بلغ إليه أهل الشرك من تعلق قلوبهم بغير الله تعالى إلى حد أنهم يسألونهم (من الأشياء قاطبة) أي من جميع الأشياء، يقال جاء القوم قاطبةً، أي جميعاً؛ وهو اسم يدل على العموم. والأمر كما ذكر الشاعر فإنّ عباد القبور يسألون الموتى المدد والولد والنجدة والغوث، والرزق، وغير ذلك من الأمور التي لا يصح أن تسأل إلّا من الله تعالى.

وقد فزع الشاعر مما يفعله عباد القبور مع من صار تحت الثرى لا يبصر ولا يرى فقال: (يا هول) يقال: هالهُ الشيء يهولُهُ هَوْلًا، أي أفزعهُ. ومكان مهيلٌ، أي مخوفٌ. وكذلك مكانٌ مهالٌ.

وقوله: (واعتادوا) أي تعودوا على ذلك فإنّه قد تربى على ذلك الصغير وهم فيها الكبير، وتخذ ذلك قربة وطاعة حتى صارت التوحيد في قلوبهم مسبة وتنقصاً للأولياء والصالحين، والشرك اعترافاً بمكانتهم وتبجيلاً لهم.

وقد روى الدارمي (١٨٥) عن عبد الله بن مسعود قال: ((كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا لَبَسْتُمْ فِتْنَةً يَهْرُمُ فِيهَا الْكَبِيرُ وَيَرْبُو فِيهَا الصَّغِيرُ وَيَتَّخِذُهَا النَّاسُ سُنَّةً فَإِذَا غُيِّرَتْ قَالُوا غُيِّرَتِ السُّنَّةُ)) قَالُوا وَمَتَى ذَلِكَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ. قَالَ: ((إِذَا كَثُرَتْ قُرَاؤُكُمْ وَقَلَّتْ فَقَهَاؤُكُمْ وَكَثُرَتْ أُمَرَاؤُكُمْ وَقَلَّتْ أُمَنَاؤُكُمْ وَالتَّمَسَّتِ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ)).

قلت: هذا أثر صحيح.



وينعتوهم بأوصاف مهولة حاشاها في الناس أرواح وأجساد
فهم على الكون أغواث تحيط به وهم على الأرض أقطاب وأوتاد
وهم كذلك أبدال وهم وهم وأولياء لهم سر وإمداد
لهم فعال بفعل الغيب خارقة تترا على الناس إشقاء وإسعاد

الشرح

ذكر الشاعر في هذه الأبيات ما بلغ إليه المفتونون بعبادة الأموات من الغلو فيهم حتى وصفوهم بأوصاف رب الأرض السموات، فأثبتوا لهم الإغاثة عند نزول الشدائد والكربات، والإمداد بالقوة لدفع عداوة أهل العداوات، ولهم تصرف سري يقضون بها حاجة أهل الحاجات، ولهم أفعال في الكون هي من جملة خوارق العادات، ويبيدهم الشقاء وإسعاد أهل السعادات.

فقال الشاعر وفقه الله للخيرات ووقاه زيف الأهواء المضلات، وشر الشهوات المحرمات: (وينعتوهم بأوصاف مهولة) أي يصفوهم بأوصاف مفزعة، فالنعت هو الوصف، والشيء المهول هو المفزع.

وقوله: (حاشاها في الناس أرواح وأجساد) وحاشا حرف معناه الاستثناء مع تنزيه المستثنى وهو يجر ما بعده، وأصلها من حاشية الشيء أي طرفه فقولك قام القوم حاشا زيداً أي صار في حاشية وناحية عنهم. وقال أبو بكر بن الأنباري: معنى حاشا في كلام العرب أعزل فلاناً من وصف القوم بالحشا، وأعزله بناحيته ولا أدخله في جملتهم.

و"حاشا" تستعمل على ثلاثة أوجه:

أحدها: فعلاً ماضياً متعدياً متصرفاً، تقول: حاشيته بمعنى استثنيته.

الثاني: تنزيهية، نحو: حاشَ لله، وهي اسم بمعنى البراءة، فمعنى حاش لله؛ براءة لله أو تنزيهاً لله من كذا، وإنما بنيت تشبيهاً ب(حاشا) الحرفية.

الثالث: أن تكون استثنائية، فذهب سيبويه وأكثر البصريين إلى أنها حرف استثناء بمعنى (إلا) لكنها تجر المستثنى، وقيل تستعمل كثيراً حرفاً جازماً وقليلاً فعلاً متعدياً جامداً.

والشاعر استعملها على معنى التنزيه، فالعبد منزّه مما يختص به الله تعالى، والغلو في العبد وإنزاله فوق قدره في الحقيقة أنه تنقص له.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في [زاد المعاد] (٢/ ٣٤٣):

((وهذا كما أن من المدح ما يكون ذمّاً وموجباً لسقوط مرتبة الممدوح عند الناس، فإنّه يُمدح بما ليس فيه، فتُطالبه النفوس بما يُمدح به، وتظنّه عنده، فلا تجدّه كذلك، فتتقلبُ ذمّاً، ولو تركَ بغير مدح، لم تحصلْ له هذه المفسدة، ويُشبه حاله حال من ولي ولاية سيئة، ثم عُزلَ عنها، فإنه تنقُصُ مرتبته عما كان عليه قبل الولاية، وينقُصُ في نفوس الناس عما كان عليه قبلها، وفي هذا قال القائل:

إِذَا مَا وَصَفْتَ امْرَءًا لَامْرِيٍّ ... فَلَا تَعْلُ فِي وَصْفِهِ وَاقْصِدْ

فَإِنَّكَ إِن تَعْلُ تَعْلُ الظُّنُّ ... وَنُ فِيهِ إِلَى الْأَمَدِ الْأَبَدِ

فَيَنْقُصُ مِنْ حَيْثُ عَظُمَتِهِ ... لِفَضْلِ الْمَغِيبِ عَنِ الْمَشْهَدِ

وأمر آخر: وهو ظنُّ المسمى واعتقاده في نفسه أنه كذلك، فيقع في تركية نفسه وتعظيمها وترفعها على غيره، وهذا هو المعنى الذي نهي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأجله أن تُسمى "بِرة" وقال: "لا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ، اللَّهُ أَعْلَمُ بِأَهْلِ الْبِرِّ مِنْكُمْ". وعلى هذا فثكره التسمية ب: التَّقَى، والمتَّقَى، والمطيع، والطائع، والراضي، والمحسن، والمخلص، والمنيب، والرشيد، والسديد. وأما تسمية الكفار بذلك، فلا يجوز التمكين منه، ولا دُعَاؤُهُمْ بشيء من هذه الأسماء، ولا الإخبار عنهم بها، والله عَزَّ وَجَلَّ يغضب من تسميتهم بذلك ((.

❦ والله عز وجل يقول: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٧١﴾﴾ [النساء: ١٧١].

ويقول: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [المائدة: ٧٧].

❦ وروى البخاري (٣٤٤٥) عن عمر رضي الله عنه يقول على المنبر سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((لا تُظَرُونِي كَمَا أَطَرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ)).

❦ وروى أبو داود (٤٨٠٦) من حديث عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال: ((انْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَقُلْنَا أَنْتَ سَيِّدُنَا. فَقَالَ: "السَّيِّدُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى". قُلْنَا وَأَفْضَلُنَا فَضْلًا وَأَعْظَمُنَا طَوْلًا. فَقَالَ: "قُولُوا بِقَوْلِكُمْ أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ وَلَا يَسْتَجِرِبَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ")).

قلت: وهو حديث صحيح.

❦ وقوله: (فهم على الكون أغواث تحيط به) يزعم المشركون في بعض الأموات أنهم أغواث، والغوث هو القطب، وقيل غيره، فيزعمون أنه مقيم بمكة وبواسطته يدير أهل السموات والأرض.

❦ قال شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله كما في [مجموع الفتاوى] (١١ / ٤٣٧-٤٣٩):

(("فَأَمَّا لَفْظُ الْعَوْثِ وَالْغِيَاثِ" فَلَا يَسْتَحِقُّهُ إِلَّا اللَّهُ فَهُوَ غِيَاثُ الْمُسْتَغِيثِينَ فَلَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ إِلَّا سِتْعَانُهُ بِغَيْرِهِ لَا يَمْلِكُ مُقَرَّبٍ وَلَا نَبِيٍّ مُرْسَلٍ. وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْفَعُونَ حَوَائِجَهُمُ الَّتِي يَطْلُبُونَ بِهَا كَشَفَ الضَّرَّ عَنْهُمْ وَنُزُولَ الرَّحْمَةِ إِلَى الثَّلَاثِمِائَةِ وَالْثَّلَاثِمِائَةِ إِلَى السَّبْعِينَ وَالسَّبْعُونَ إِلَى الْأَرْبَعِينَ وَالْأَرْبَعُونَ إِلَى السَّبْعَةِ وَالسَّبْعَةَ إِلَى الْأَرْبَعَةِ وَالْأَرْبَعَةَ إِلَى الْعَوْثِ فَهُوَ كَاذِبٌ ضَالٌّ مُشْرِكٌ فَقَدْ كَانَ الْمُشْرِكُونَ كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا

إِيَّاهُ ، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَمَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ . فَكَيْفَ يَكُونُ الْمُؤْمِنُونَ يَرْفَعُونَ إِلَيْهِ حَوَائِجَهُمْ بَعْدَهُ بِوَسَائِطٍ مِنَ الْحِجَابِ؟ وَهُوَ الْقَائِلُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ ، وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ دَاعِيًا لِأَهْلِ مَكَّةَ ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ* رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ* الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ . وَقَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَصْحَابِهِ لَمَّا رَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالذِّكْرِ: "أَيُّهَا النَّاسُ ارْبِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا وَإِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا؛ إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ" وَهَذَا بَابٌ وَاسِعٌ. وَقَدْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ كُلُّهُمْ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَامَّةُ الْمُسْلِمِينَ وَلَا مَشَائِجُهُمُ الْمَعْرُوفُونَ يَرْفَعُونَ إِلَى اللَّهِ حَوَائِجَهُمْ لَا ظَاهِرًا وَلَا بَاطِنًا بِهَذِهِ الْوَسَائِطِ وَالْحِجَابِ فَتَعَالَى اللَّهُ عَنْ تَشْبِيهِهِ بِالْمَخْلُوقِينَ مِنْ الْمُلُوكِ وَسَائِرِ مَا يَقُولُهُ الظَّالِمُونَ غُلُوبًا كَبِيرًا وَهَذَا مِنْ جَنْسِ دَعْوَى الرَّافِضَةِ أَنَّهُ لَا بُدَّ فِي كُلِّ زَمَانٍ مِنْ إِمَامٍ مَعْصُومٍ يَكُونُ حُجَّةَ اللَّهِ عَلَى الْمُكَلَّفِينَ لَا يَسِمُ الْإِيمَانُ إِلَّا بِهِ ثُمَّ مَعَ هَذَا يَقُولُونَ إِنَّهُ كَانَ صَبِيًّا دَخَلَ السَّرْدَابَ مِنْ أَكْثَرِ مِنْ أَرْبَعِمِائَةٍ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً وَلَا يُعْرِفُ لَهُ عَيْنٌ وَلَا أَثَرٌ وَلَا يُدْرِكُ لَهُ حِسٌّ وَلَا حَبْرٌ. وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَدْعُونَ هَذِهِ الْمَرَاتِبَ فِيهِمْ مُضَاهَاةً لِلرَّافِضَةِ مِنْ بَعْضِ الْوُجُوهِ ؛ بَلْ هَذَا التَّرْتِيبُ وَالْأَعْدَادُ تُشَبِّهُ مِنْ بَعْضِ الْوُجُوهِ تَرْتِيبَ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ وَالنُّصَيْرِيَّةِ وَنَحْوِهِمْ فِي السَّابِقِ وَالتَّالِيِ وَالنَّاطِقِ وَالْأَسَاسِ وَالْجَسَدِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ التَّرْتِيبِ الَّذِي مَا نَزَلَ اللَّهُ بِهِ مِنْ سُلْطَانٍ ((.

وقال رحمه الله كما في [مجموع الفتاوى] (٢٧ / ٩٦-١٠٥):

((وَأَمَّا سُؤَالُ السَّائِلِ عَنْ "الْقُطْبِ الْعَوْتِ الْفَرْدِ الْجَامِعِ". فَهَذَا قَدْ يَقُولُهُ طَوَائِفُ مِنَ النَّاسِ وَيُفَسِّرُونَهُ بِأُمُورٍ بَاطِلَةٍ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ: مِثْلُ تَفْسِيرِ بَعْضِهِمْ: أَنَّ "الْعَوْتَ" هُوَ الَّذِي يَكُونُ مَدَدُ الْخَلَائِقِ بِوَاسِطَتِهِ فِي نَصْرِهِمْ وَرِزْقِهِمْ حَتَّى يَقُولَ: إِنَّ مَدَدَ الْمَلَائِكَةِ وَحِيتَانِ الْبَحْرِ بِوَاسِطَتِهِ. فَهَذَا مِنْ جَنْسِ قَوْلِ النَّصَارَى فِي الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْعَالِيَةِ فِي عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَهَذَا كُفْرٌ صَرِيحٌ يُسْتَتَابُ مِنْهُ صَاحِبُهُ فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ لَا مَلَكٌ وَلَا بَشَرٌ يَكُونُ إِمْدَادُ الْخَلَائِقِ بِوَاسِطَتِهِ وَلِهَذَا كَانَ مَا يَقُولُهُ الْفَلَاسِفَةُ فِي "الْعُقُولِ الْعَشْرَةِ" الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهَا الْمَلَائِكَةُ وَمَا يَقُولُهُ النَّصَارَى فِي الْمَسِيحِ وَنَحْوِ ذَلِكَ كُفْرٌ صَرِيحٌ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ. وَكَذَلِكَ عَنِ بِالْعَوْتَ مَا يَقُولُهُ بَعْضُهُمْ مِنْ أَنَّ فِي الْأَرْضِ ثَلَاثِمِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا يُسَمُّونَهُمْ "الْحَبَاءَ" فَيَنْتَقِي مِنْهُمْ سَبْعُونَ هُمْ "النُّقَبَاءُ" وَمِنْهُمْ أَرْبَعُونَ هُمْ "الْأَبْدَالُ" وَمِنْهُمْ سَبْعَةٌ هُمْ "الْأَقْطَابُ" وَمِنْهُمْ أَرْبَعَةٌ هُمْ "الْأَوْتَادُ" وَمِنْهُمْ وَاحِدٌ هُوَ "الْعَوْتُ" وَأَنَّهُ مُقِيمٌ بِمَكَّةَ وَأَنَّ أَهْلَ الْأَرْضِ إِذَا نَابَهُمْ نَائِبَةٌ فِي رِزْقِهِمْ وَنَصْرِهِمْ فَرَعُوا إِلَى الثَّلَاثِمِائَةِ وَبِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا وَأُولَئِكَ يَفْرَعُونَ إِلَى السَّبْعِينَ وَالسَّبْعُونَ إِلَى الْأَرْبَعِينَ وَالْأَرْبَعُونَ إِلَى السَّبْعَةِ وَالسَّبْعَةِ إِلَى الْأَرْبَعَةِ وَالْأَرْبَعَةِ إِلَى الْوَاحِدِ. وَبَعْضُهُمْ قَدْ بَزِيْدُ فِي هَذَا وَيُنْقِصُ فِي الْأَعْدَادِ وَالْأَسْمَاءِ وَالْمَرَاتِبِ؛ فَإِنَّ هُمْ فِيهَا مَقَالَاتٍ مُتَعَدِّدَةً حَتَّى يَقُولَ بَعْضُهُمْ إِنَّهُ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى الْكَعْبَةِ وَرَقَّةٌ خَضِرَاءُ بِاسْمِ غَوْثِ الْوَقْتِ وَاسْمُ خَضِرِهِ - عَلَى قَوْلِ

مَنْ يَقُولُ مِنْهُمْ: إِنَّ الْخَضِرَ هُوَ مَرْتَبَةٌ وَإِنَّ لِكُلِّ زَمَانٍ خَضِرًا فَإِنَّ لَهُمْ فِي ذَلِكَ قَوْلَيْنِ - وَهَذَا كُلُّهُ بَاطِلٌ لَا أَصْلَ لَهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَلَا سُنَّةِ رَسُولِهِ وَلَا قَالَهُ أَحَدٌ مِنْ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَلَا أَتَمَّتْهَا وَلَا مِنْ الْمَشَائِخِ الْكِبَارِ الْمُتَقَدِّمِينَ الَّذِينَ يَصْلُحُونَ لِلِافْتِدَاءِ بِهِمْ . وَمَعْلُومٌ أَنَّ سَيِّدَنَا رَسُولَ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيًّا - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - كَانُوا خَيْرَ الْخَلْقِ فِي زَمَانِهِمْ وَكَانُوا بِالْمَدِينَةِ وَلَمْ يَكُونُوا بِمَكَّةَ . وَقَدْ رَوَى بَعْضُهُمْ حَدِيثًا فِي هِلَالِ غُلَامِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ وَأَنَّهُ أَحَدُ السَّبْعَةِ . وَالْحَدِيثُ بَاطِلٌ بِاتِّفَاقِ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ وَإِنْ كَانَ قَدْ رَوَى بَعْضُ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ أَبُو نُعَيْمٍ فِي "حِلْيَةِ الْأَوْلِيَاءِ" وَالشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ فِي بَعْضِ مُصَنَّفَاتِهِ فَلَا تَغْتَرَّ بِذَلِكَ . فَإِنَّ فِيهِ الصَّحِيحَ وَالْحَسَنَ وَالضَّعِيفَ وَالْمَوْضُوعَ وَالْمَكْذُوبَ الَّذِي لَا خِلَافَ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ فِي أَنَّهُ كَذِبٌ مَوْضُوعٌ . وَتَارَةً يَرَوِيهِ عَلَى عَادَةِ بَعْضِ أَهْلِ الْحَدِيثِ الَّذِينَ يَزُودُونَ مَا سَمِعُوا وَلَا يُمَيِّزُونَ بَيْنَ صَحِيحِهِ وَبَاطِلِهِ وَكَانَ أَهْلُ الْحَدِيثِ لَا يَزُودُونَ مِثْلَ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ؛ لِمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "مَنْ حَدَّثَ عَنِّي بِحَدِيثٍ وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ كَذِبٌ فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبِينَ" . وَبِالْجُمْلَةِ فَقَدْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ كُلُّهُمْ أَنَّ مَا يَنْزِلُ بِالْمُسْلِمِينَ مِنَ التَّوَارِثِ فِي الرِّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ: مِثْلُ دُعَائِهِمْ عِنْدَ الاسْتِسْقَاءِ لِنُزُولِ الرِّزْقِ وَدُعَائِهِمْ عِنْدَ الْكُسُوفِ وَالِإِعْتِدَادِ لِرَفْعِ الْبَلَاءِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ إِنَّمَا يَدْعُونَ فِي ذَلِكَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَا يُشْرِكُونَ بِهِ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ لِلْمُسْلِمِينَ قَطُّ أَنْ يَرْجِعُوا بِحَوَائِجِهِمْ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ بَلْ كَانَ الْمُشْرِكُونَ فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ يَدْعُونَهُ بِلَا وَاسِطَةٍ فَيُجِيبُهُمُ اللَّهُ أَفْتَرَاهُمْ بَعْدَ التَّوْحِيدِ وَالْإِسْلَامِ لَا يُجِيبُ دُعَاءَهُمْ إِلَّا بِهَذِهِ الْوَاسِطَةِ الَّتِي مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ؟ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَا لِحَبِيْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّةٍ﴾ وَقَالَ تَعَالَى:

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهَ﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَنَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * بَلْ إِلَٰهَ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتُسْأَلُونَ مَا تَشْرِكُونَ﴾ وَقَالَ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَآخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ * فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ . وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ اسْتَسْقَى لِأَصْحَابِهِ بِصَلَاةٍ وَبَغَيْرِ صَلَاةٍ وَصَلَّى بِهِمْ لِلِاسْتِسْقَاءِ وَصَلَاةَ الْكُسُوفِ وَكَانَ يَقْنُتُ فِي صَلَاتِهِ فَيَسْتَنْصِرُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ وَكَذَلِكَ خُلَفَاؤُهُ الرَّاشِدُونَ بَعْدَهُ وَكَذَلِكَ أَئِمَّةُ الدِّينِ وَمَشَائِخُ الْمُسْلِمِينَ وَمَا زَالُوا عَلَى هَذِهِ الطَّرِيقَةِ . وَهَذَا يُقَالُ: ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ مَا هَذَا مِنْ أَصْلِ

بَابُ النَّصِيرَةِ وَالتَّنْظُرِ الرَّافِضَةِ وَغَوْتِ الْجَهَالِ: فَإِنَّ النَّصِيرَةَ تَدْعِي فِي الْبَابِ الَّذِي لَهُمْ مَا هُوَ مِنْ هَذَا الْجِنْسِ أَنَّهُ الَّذِي يُقِيمُ الْعَالَمَ فَذَاكَ شَخْصُهُ مُوجُودٌ؛ وَلَكِنْ دَعْوَى النَّصِيرَةِ فِيهِ بَاطِلَةٌ . وَأَمَّا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْمُتَنَظِّرُ وَالْعَوْتُ الْمُقِيمُ بِمَكَّةَ وَخَوُّ هَذَا: فَإِنَّهُ بَاطِلٌ لَيْسَ لَهُ وَجُودٌ . وَكَذَلِكَ مَا يَزْعُمُهُ بَعْضُهُمْ مِنْ أَنَّ الْقُطْبَ الْعَوْتَ الْجَامِعَ بِمَدِّ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ وَيَعْرِفُهُمْ كُلُّهُمْ وَخَوُّ هَذَا: فَهَذَا بَاطِلٌ . فَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - لَمْ يَكُونَا يَعْرِفَانِ جَمِيعَ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ وَلَا بِمَدَّائِهِمْ فَكَيْفَ يَهْؤُلَاءِ الضَّالِّينَ الْمُعْتَرِّينَ الْكَذَّابِينَ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ إِنَّمَا عَرَفَ الَّذِينَ لَمْ يَكُنْ رَأَاهُمْ مِنْ أُمَّتِهِ بِسِمَاءِ الْوُضُوءِ وَهُوَ الْعُرَّةُ وَالتَّحْجِيلُ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ مَنْ لَا يُحْصِيهِ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ . وَأَنْبِيَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ هُوَ

إِمَامُهُمْ وَخَطِيبُهُمْ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ أَكْثَرَهُمْ؛ بَلْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رَسُولًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ

وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ وَمُوسَى لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ الْحُضِرَ وَالْحُضِرَ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ مُوسَى؛ بَلْ لَمَّا سَلَّمَ عَلَيْهِ مُوسَى قَالَ

لَهُ الْحُضِرُ: وَأَنْتَ بِأَرْضِكَ السَّلَامُ؟ فَقَالَ لَهُ: أَنَا مُوسَى. قَالَ: مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ قَالَ: نَعَمْ. وَقَدْ كَانَ بَلْعَهُ اسْمُهُ وَخَبَرُهُ وَلَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ عَيْنَهُ. وَمَنْ قَالَ إِنَّهُ نَقِيبُ الْأَوْلِيَاءِ أَوْ أَنَّهُ يُعَلِّمُهُمْ كُلَّهُمْ فَقَدْ قَالَ الْبَاطِلَ. وَالصَّوَابُ الَّذِي عَلَيْهِ الْمُحَقِّقُونَ أَنَّهُ

مَيِّتٌ وَأَنَّهُ لَمْ يُدْرِكِ الْإِسْلَامَ وَلَوْ كَانَ مَوْجُودًا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَوَجِبَ عَلَيْهِ أَنْ يُؤْمِنَ بِهِ وَيُجَاهِدَ مَعَهُ كَمَا أَوْجَبَ اللَّهُ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَعَلَى غَيْرِهِ وَلَكَانَ يَكُونُ فِي مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ وَلَكَانَ يَكُونُ حُضُورُهُ مَعَ الصَّحَابَةِ لِلْجِهَادِ مَعَهُمْ

وإِعَانَتِهِمْ عَلَى الدِّينِ أَوَّلَى بِهِ مِنْ حُضُورِهِ عِنْدَ قَوْمٍ كُفَّارٍ لِيُرْفَعَ لَهُمْ سَفِينَتُهُمْ وَلَمْ يَكُنْ مُخْتَفِيًا عَنْ خَيْرِ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ وَهُوَ قَدْ كَانَ بَيْنَ الْمُشْرِكِينَ وَلَمْ يَخْتَجِبْ عَنْهُمْ. ثُمَّ لَيْسَ لِلْمُسْلِمِينَ بِهِ وَأَمثَالِهِ حَاجَةٌ لَا فِي دِينِهِمْ وَلَا فِي دُنْيَاهُمْ؛ فَإِنَّ دِينَهُمْ

أَخَذُوهُ عَنِ الرَّسُولِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - الَّذِي عَلَّمَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ: "لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا ثُمَّ اتَّبَعْتُمُوهُ وَتَرَكْتُمُونِي لَضَلَلْتُمْ". وَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - إِذَا نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ إِنَّمَا يَحْكُمُ فِيهِمْ

بِكِتَابِ رَبِّهِمْ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِمْ. فَأَيُّ حَاجَةٍ لَهُمْ مَعَ هَذَا إِلَى الْحُضِرِ وَغَيْرِهِ وَالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَخْبَرَهُمْ بِنُزُولِ عِيسَى مِنَ السَّمَاءِ وَحُضُورِهِ مَعَ الْمُسْلِمِينَ وَقَالَ: "كَيْفَ تَهْلِكُ أُمَّةٌ أَنَا فِي أَوَّلِهَا وَعِيسَى فِي آخِرِهَا". فَإِذَا كَانَ النَّبِيُّ

الْكَرِيمَانِ اللَّذَانِ هُمَا مَعَ إِبْرَاهِيمَ مُوسَى وَنُوحٍ أَفْضَلُ الرُّسُلِ وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَمْ يَخْتَجِبُوا عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ لَا عَوَائِدُهُمْ وَلَا خَوَاصُّهُمْ فَكَيْفَ يَخْتَجِبُ عَنْهُمْ مَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ. وَإِذَا كَانَ الْحُضِرُ حَيًّا دَائِمًا فَكَيْفَ لَمْ يَذْكُرْ

النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ قَطُّ وَلَا أَخْبَرَ بِهِ أُمَّتَهُ وَلَا خُلَفَاؤُهُ الرَّاشِدُونَ. وَقَوْلُ الْقَائِلِ: إِنَّهُ نَقِيبُ الْأَوْلِيَاءِ. فَيُقَالُ لَهُ مَنْ وَلَاهُ النَّقَابَةَ وَأَفْضَلُ الْأَوْلِيَاءِ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟ وَلَيْسَ فِيهِمْ الْحُضِرُ. وَعَمَّا مَا يُحْكِي فِي هَذَا

الْبَابِ مِنَ الْحِكَايَاتِ بَعْضُهَا كَذِبٌ وَبَعْضُهَا مَبْنِيٌّ عَلَى ظَنِّ رَجُلٍ: مِثْلُ شَخْصٍ رَأَى رَجُلًا ظَنَّ أَنَّهُ الْحُضِرُ وَقَالَ: إِنَّهُ الْحُضِرُ كَمَا أَنَّ الرَّافِضَةَ تَرَى شَخْصًا تَظُنُّ أَنَّهُ الْإِمَامُ الْمُنتَظَرُ الْمَعْصُومُ أَوْ تَدَّعِي ذَلِكَ وَرُويَ عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ أَنَّهُ قَالَ -

وَقَدْ ذَكَرَ لَهُ الْحُضِرُ - مَنْ أَحَالَكَ عَلَى غَائِبٍ فَمَا أَنْصَفَكَ. وَمَا أَلْقَى هَذَا عَلَى أَلْسِنَةِ النَّاسِ إِلَّا الشَّيْطَانُ. وَقَدْ بَسَطْنَا الْكَلَامَ عَلَى هَذَا فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ.

وَأَمَّا إِنْ قَصَدَ الْقَائِلُ بِقَوْلِهِ "الْقُطْبُ الْعَوْتُ الْفَرْدُ الْجَامِعُ" أَنَّهُ رَجُلٌ يَكُونُ أَفْضَلُ أَهْلِ زَمَانِهِ فَهَذَا مُمَكِّنٌ لَكِنْ مِنَ الْمُمَكِّنِ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ فِي الزَّمَانِ اثْنَانِ مُتَسَاوِيَانِ فِي الْفَضْلِ وَثَلَاثَةٌ وَأَرْبَعَةٌ وَلَا يُجْزَمُ بِأَلَّا يَكُونَ فِي كُلِّ زَمَانٍ أَفْضَلُ النَّاسِ إِلَّا وَاحِدًا

وَقَدْ تَكُونُ جَمَاعَةٌ بَعْضُهُمْ أَفْضَلُ مِنْ بَعْضٍ مِنْ وَجْهِ دُونَ وَجْهِ وَتِلْكَ الْوُجُوهُ إِمَّا مُتَقَارِبَةٌ وَإِمَّا مُتَسَاوِيَةٌ. ثُمَّ إِذَا كَانَ فِي الزَّمَانِ رَجُلٌ هُوَ أَفْضَلُ أَهْلِ الزَّمَانِ فَتَسَمِيَّتُهُ "بِالْقُطْبِ الْعَوْتُ الْجَامِعُ" بِدَعَا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ وَلَا تَكَلَّمَ بِهَذَا أَحَدٌ مِنْ

سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَتَمَّتْهَا وَمَا زَالَ السَّلَفُ يَظُنُّونَ فِي بَعْضِ النَّاسِ أَنَّهُ أَفْضَلُ أَوْ مِنْ أَفْضَلِ أَهْلِ زَمَانِهِ وَلَا يُطْلِقُونَ عَلَيْهِ هَذِهِ الْأَسْمَاءَ الَّتِي مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ؛ لَا سِيَّمَا أَنَّ مِنَ الْمُنتَحِلِينَ لِهَذَا الْإِسْمِ مَنْ يَدَّعِي أَنَّ أَوَّلَ الْأَقْطَابِ هُوَ الْحَسَنُ بْنُ

عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - ثُمَّ يَتَسَلَّلُ الْأَمْرُ إِلَى مَا دُونَهُ إِلَى بَعْضِ مَشَايِخِ الْمُتَأَخِّرِينَ وَهَذَا لَا يَصِحُّ لَا عَلَى مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَلَا عَلَى مَذْهَبِ الرَّافِضَةِ. فَأَيُّ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ

وَالْأَنْصَارِ؟ وَالْحَسَنُ عِنْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ قَدْ قَارَبَ سِنَّ التَّمْيِيزِ وَالِاخْتِلَامِ. وَقَدْ حُكِيَ عَنْ بَعْضِ الْأَكَابِرِ مِنَ الشُّيُوخِ الْمُتَحِلِّينَ هَذَا: أَنَّ "الْقُطْبَ الْفَرْدَ الْعَوْتَ الْجَامِعَ" يَنْطَبِقُ عَلَيْهِ عَلَى عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى وَقُدْرَتُهُ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى فَيَعْلَمُ مَا يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَيَقْدِرُ عَلَى مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ اللَّهُ. وَزَعَمَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ كَذَلِكَ وَأَنَّ هَذَا انْتَقَلَ عَنْهُ إِلَى الْحَسَنِ وَتَسَلَّسَلَ إِلَى شَيْخِهِ. فَبَيَّنْتُ أَنَّ هَذَا كُفْرٌ صَرِيحٌ وَجَهْلٌ قَبِيحٌ وَأَنَّ دَعْوَى هَذَا فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ كُفْرٌ دَغٌ مَا سِوَاهُ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْرَزْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ الْآيَةُ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾ الْآيَةُ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتُهُمْ فَيَنْتَقِلُوا خَائِبِينَ﴾ * لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾. وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَمْرُنَا أَنْ نَطِيعَ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ وَأَمْرُنَا أَنْ نَتَّبِعَهُ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ وَأَمْرُنَا أَنْ نُعَزِّزَهُ وَنُوقِرَهُ وَنَنْصُرَهُ وَجَعَلَ لَهُ مِنَ الْخُفُوقِ مَا بَيَّنَّهُ فِي كِتَابِهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ حَتَّى أَوْجَبَ عَلَيْنَا أَنْ يَكُونَ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيْنَا مِنْ أَنْفُسِنَا وَأَهْلِينَا فَقَالَ تَعَالَى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ إِلَهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ" وَقَالَ لَهُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي فَقَالَ: "لَا يَا عُمَرُ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ" - قَالَ: فَلَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي قَالَ: "الآنَ يَا عُمَرُ" وَقَالَ: "ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ خَلَاوَةَ الْإِيمَانِ مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَمَنْ كَانَ يُحِبُّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ وَمَنْ كَانَ يَكْرَهُ أَنْ يَرْجَعَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ". وَقَدْ بَيَّنَّ فِي كِتَابِهِ حُقُوقَهُ الَّتِي لَا تَصْلُحُ إِلَّا لَهُ وَحُقُوقَ رَسُولِهِ وَحُقُوقَ الْمُؤْمِنِينَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ كَمَا بَسَطْنَا الْكَلَامَ عَلَى ذَلِكَ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ وَذَلِكَ مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ يَتَّقِ اللَّهَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ فَالطَّاعَةُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ وَالْخُشْيَةُ وَالتَّقْوَى لِلَّهِ وَحَدَهُ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ فَالْإِيْتَاءُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ وَالرَّغْبَةُ لِلَّهِ وَحَدَهُ وَقَالَ تَعَالَى:

﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ لِأَنَّ الْحَلَالَ مَا أَحَلَّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالْحَرَامَ مَا حَرَّمَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَأَمَّا

الحسب فَهُوَ لِلَّهِ وَخُذَهُ كَمَا قَالَ: ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾ وَلَمْ يَقُلْ: حَسْبُنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ

حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أَيُّ يَكْفِيكَ اللَّهُ وَيَكْفِي مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَهَذَا هُوَ الصَّوَابُ الْمَقْطُوعُ بِهِ فِي

هَذِهِ الْآيَةِ ؛ وَلِهَذَا كَانَتْ كَلِمَةُ إِبْرَاهِيمَ وَمُحَمَّدٍ - عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ. وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ وَأَحْكَمُ. وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى خَيْرِ خَلْقِهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ)) .

قلت: وهذا تحرير نفيس في بيان بطلان هذه الجهالة التي انتشرت في أوساط بعض الجاهلين.

وقول الشاعر: (وهم على الأرض أقطاب وأوتاد) القطب هو الغوث وقيل غيره كما سبق بيان ذلك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في [مجموع الفتاوى] (١١ / ٤٤٠):

((وَأَمَّا الْقُطْبُ فَيُوجَدُ أَيْضًا فِي كَلَامِهِمْ فَلَا نَ مِنْ الْأَقْطَابِ أَوْ فَلَانٌ قُطِبَ فَكُلُّ مَنْ دَارَ عَلَيْهِ أَمْرٌ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ أَوْ الدُّنْيَا بَاطِنًا أَوْ ظَاهِرًا فَهُوَ قُطْبُ ذَلِكَ الْأَمْرِ وَمَدَارُهُ سَوَاءٌ كَانَ الدَّائِرُ عَلَيْهِ أَمْرَ دَارِهِ أَوْ ذَرِيَّتِهِ أَوْ قَرْنِيَّتِهِ أَوْ مَدِينَتِهِ أَمْرَ دِينِهَا أَوْ دُنْيَاهَا بَاطِنًا أَوْ ظَاهِرًا وَلَا اخْتِصَاصَ لِهَذَا الْمَعْنَى بِسَبْعَةٍ وَلَا أَقَلٍّ وَلَا أَكْثَرٍ؛ لَكِنَّ الْمَمْدُوحَ مِنْ ذَلِكَ مَنْ كَانَ مَدَارًا لِصَلَاحِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ دُونَ مُجَرَّدِ صَلَاحِ الدُّنْيَا؛ فَهَذَا هُوَ الْقُطْبُ فِي عَرَفِهِمْ فَقَدْ يَتَّفِقُ فِي بَعْضِ الْأَعْصَارِ أَنْ يَكُونَ شَخْصٌ أَفْضَلُ أَهْلِ عَصْرِهِ وَقَدْ يَتَّفِقُ فِي عَصْرِ آخَرَ أَنْ يَتَكَافَأَ اثْنَانِ أَوْ ثَلَاثَةٌ فِي الْفَضْلِ عِنْدَ اللَّهِ سَوَاءٌ وَلَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ فِي كُلِّ زَمَانٍ شَخْصٌ وَاحِدٌ هُوَ أَفْضَلُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ مُطْلَقًا)) .

قلت: لكن مراد المتكلمين من أهل التصوف في القطب أنه الغوث كما سبق إيضاح ذلك.

وأما الأوتاد: فقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في [مجموع الفتاوى] (١١ / ٤٤٠):

((وَأَمَّا الْأَوْتَادُ فَقَدْ يُوجَدُ فِي كَلَامِ الْبَعْضِ أَنَّهُ يَقُولُ: فَلَانٌ مِنَ الْأَوْتَادِ يَعْنِي بِذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُثَبِّتُ بِهِ الْإِيمَانَ وَالدِّينَ فِي قُلُوبِ مَنْ يَهْدِيهِمُ اللَّهُ بِهِ كَمَا يُثَبِّتُ الْأَرْضَ بِأَوْتَادِهَا وَهَذَا الْمَعْنَى ثَابِتٌ لِكُلِّ مَنْ كَانَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ مِنَ الْعُلَمَاءِ فَكُلُّ مَنْ حَصَلَ بِهِ تَثْبِيتُ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ فِي جُمْهُورِ النَّاسِ كَانَ بِمَنْزِلَةِ الْأَوْتَادِ الْعَظِيمَةِ وَالْجِبَالِ الْكَبِيرَةِ وَمَنْ كَانَ بِدُونِهِ كَانَ بِحَسْبِهِ وَلَيْسَ ذَلِكَ مَحْضُورًا فِي أَرْبَعَةٍ وَلَا أَقَلٍّ وَلَا أَكْثَرٍ بَلْ جَعَلَ هَؤُلَاءِ أَرْبَعَةً مُضَاهَاءً بِقَوْلِ الْمُنَجِّمِينَ فِي أَوْتَادِ الْأَرْضِ)) .

قلت: ومراد المتكلمين في الأوتاد هم الذين يرفعون حاجات الناس إلى الغوث، والغوث هو الذي يقضي حاجاتهم، وهذا هو عين الكفر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في [مجموع الفتاوى] (٢٧ / ٩٧):

((وَكَذَلِكَ عَنِ بِالْعَوْتِ مَا يَقُولُهُ بَعْضُهُمْ مِنْ أَنَّ فِي الْأَرْضِ ثَلَاثِمِائَةٍ وَبِضْعَةِ عَشَرَ رَجُلًا يُسَمُّونَهُمُ "النُّجَبَاءُ" فَيُنْتَقَى مِنْهُمْ سَبْعُونَ هُمْ "النُّقَبَاءُ" وَمِنْهُمْ أَرْبَعُونَ هُمْ "الْأَبْدَالُ" وَمِنْهُمْ سَبْعَةٌ هُمْ "الْأَقْطَابُ" وَمِنْهُمْ أَرْبَعَةٌ هُمْ "الْأَوْتَادُ" وَمِنْهُمْ وَاحِدٌ هُوَ "الْعَوْتُ" وَأَنَّهُ مُقِيمٌ بِمَكَّةَ وَأَنَّ أَهْلَ الْأَرْضِ إِذَا نَابَهُمْ نَائِبَةٌ فِي رِزْقِهِمْ وَنَصْرِهِمْ فَرَعُوا إِلَى الثَّلَاثِمِائَةِ وَبِضْعَةِ عَشَرَ رَجُلًا

وَأُولَئِكَ يَفْزَعُونَ إِلَى السَّبْعِينَ وَالسَّبْعُونَ إِلَى الْأَرْبَعِينَ وَالْأَرْبَعُونَ إِلَى السَّبْعَةِ وَالسَّبْعَةَ إِلَى الْأَرْبَعَةِ وَالْأَرْبَعَةَ إِلَى الْوَاحِدِ. وَبَعْضُهُمْ قَدْ يَزِيدُ فِي هَذَا وَيُنْقِصُ فِي الْأَعْدَادِ وَالْأَسْمَاءِ وَالْمَرَاتِبِ؛ فَإِنَّ لَهُمْ فِيهَا مَقَالَاتٍ مُتَعَدِّدَةً حَتَّى يَقُولَ بَعْضُهُمْ إِنَّهُ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى الْكَعْبَةِ وَرَقَّةً خَضِرَاءَ بِاسْمِ غَوْتِ الْوَقْتِ وَاسْمِ خَضِرِهِ - عَلَى قَوْلٍ مَنْ يَقُولُ مِنْهُمْ: إِنَّ الْخَضِرَ هُوَ مَرْتَبَةٌ وَإِنَّ لِكُلِّ زَمَانٍ خَضِرًا فَإِنَّ لَهُمْ فِي ذَلِكَ قَوْلَيْنِ - وَهَذَا كُلُّهُ بَاطِلٌ لَا أَصْلَ لَهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَلَا سُنَّةِ رَسُولِهِ وَلَا قَالَهُ أَحَدٌ مِنْ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَلَا أُيِّمَتْهَا وَلَا مِنْ الْمَشَايِخِ الْكِبَارِ الْمُتَقَدِّمِينَ الَّذِينَ يَصْلُحُونَ لِلْإِقْتِدَاءِ بِهِمْ)).

❦ وقول الشاعر: **(وهم كذلك أبدال وهم وهم)** والأبدال يطلقون على معنى فاسد ومعنى صحيح، أمّا الفاسد فهم الذين يرفعون حاجات الناس إلى الأقطاب.

والمعنى الصحيح أنهم أبدال الأنبياء وهم العلماء الذين إذا ماتوا استبدل الله غيرهم، فإنَّ الله تعالى يبعث لهذه الأمة في كل مائة سنة من يجدد لها دينها، أو أنهم الذين استبدلوا السيئات بالحسنات.

❦ **قال شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله كما في [مجموع الفتاوى] (٣ / ١٥٩):

((وَفِيهِمْ الْأَبْدَالُ: الْأَيْمَةُ الَّذِينَ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى هِدَايَتِهِمْ وَدِرَائَتِهِمْ)).

❦ **وقال** رحمه الله كما في [مجموع الفتاوى] (١١ / ٤٤١-٤٤٢):

((وَالَّذِينَ تَكَلَّمُوا بِاسْمِ الْبَدَلِ فَسَرُّوهُ بِمَعَانٍ: مِنْهَا أَنَّهُمْ أَبْدَالُ الْأَنْبِيَاءِ، وَمِنْهَا أَنَّهُ كَلَّمَا مَاتَ مِنْهُمْ رَجُلٌ أَبْدَلَ اللَّهُ تَعَالَى مَكَانَهُ رَجُلًا وَمِنْهَا أَنَّهُمْ أَبْدَلُوا السَّيِّئَاتِ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ وَعَقَائِدِهِمْ بِحَسَنَاتٍ. وَهَذِهِ الصَّفَاتُ كُلُّهَا لَا تَخْتَصُّ بِأَرْبَعِينَ وَلَا بِأَقَلٍّ وَلَا بِأَكْثَرٍ وَلَا تُخَصَّرُ بِأَهْلِ بُقْعَةٍ مِنَ الْأَرْضِ)).

❦ وقول الشاعر: **(وأولياء لهم سر وإمداد)** أي أنّ ما يعبدونهم من الأموات هم من أولياء الله تعالى، ولهم سر في الكون أي تصرف سري في الكون بعد أن غابت أرواحهم وأجسادهم، ولهم إمداد يمدون سائلهم بما يحتاجون إليه من النصر والرزق وغير ذلك، وكل هذا من الباطل والغلو وهذا لا يكون إلّا لرب العالمين سبحانه.

❦ وقول الشاعر: **(لهم فعال بفعل الغيب خارقة تترا على الناس إشقاء وإسعاد)** أي أنهم يتصرفون في الكون بتصرفات غيبية سرية لا يتمكن منها غيرهم من البشر لخروجها عن عادة البشر، وهذه التصرفات متتابعة على الناس يحصل بها الشقاء لبعضهم والسعادة لآخرين، وكل هذا من الغلو الذي لا أصل له في الواقع بل هو من تزيين الشيطان لإخوانه من المشركين.



وإن أهل الوري شعبان أو رجب فللمقابر أعراس وأعياد

الشرح

ذكر الشاعر في هذه البيت أعياد المشركين مع معبوداتهم من دون الله تعالى، وذلك أن لكل قوم عيداً. فروي البخاري (٩٥٢)، ومسلم (٨٩٢) عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ وَعِنْدِي جَارِيَتَانِ مِنْ جَوَارِي الْأَنْصَارِ تُغْنِيَانِ بَمَا تَقَاوَلَتِ الْأَنْصَارُ يَوْمَ بُعَاثَ - قَالَتْ وَلَيْسَتَا بِمُعْنِيَتَيْنِ - فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ أَمْرَامِيرُ الشَّيْطَانِ فِي بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ: وَذَلِكَ فِي يَوْمٍ عِيدٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ عِيدًا وَهَذَا عِيدُنَا)) .

وقوله: (وإن أهل الوري) الإهلال هو التصويت بظهور الهلال، والوري الخلق.

وقوله: (شعبان) هو الثامن من الأشهر الهجرية.

قال العلامة ابن منظور رحمه الله في [لسان العرب] (١ / ٥٠١):

((وشَعْبَانُ اسْمٌ لِلشَّهْرِ سُمِّيَ بِذَلِكَ لِتَشَعُّبِهِمْ فِيهِ أَيْ تَفَرُّقِهِمْ فِي طَلَبِ الْمَاءِ وَقِيلَ فِي الْغَارَاتِ. وَقَالَ ثَعْلَبُ قَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّمَا سُمِّيَ شَعْبَانُ شَعْبَانًا لِأَنَّهُ شَعَبَ أَيْ ظَهَرَ بَيْنَ شَهْرَيْ رَمَضَانَ وَرَجَبٍ)) .

وقوله: (أو رجب فللمقابر أعراس وأعياد) هو السابع من الأشهر الهجرية، وسمي بذلك من الترحيب وهو التعظيم. ومراد الشاعر أن دعاة الشرك الذي يعبدون الموتى من دون الله تعالى لهم أعياد يجتمعون فيها عند من يعبدونه من دون الله تعالى لا سيما في شهر رجب ولا سيما في أول جمعة منه ويسمونها الرجبية، وهكذا في شعبان لا سيما في منتصفه وهو ما يسمونه بالشعبانية فيجتمع عباد القبور بالألوف بل قد بلغت بعض تلك التجمعات الملايين.

وصدق الله تعالى حيث يقول: ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنْ أَلَّا اللَّهُ يُضِلِّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا

تَذَهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ [فاطر: ٨] .

وقال: ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى يَتْنٍ مِّن رَّيِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾ [محمد: ١٤] .

ويفعل المشركون في هذه الأعياد نظير ما كان يفعله أهل الجاهلية مع أصنامهم بل أشد، فإن أهل الجاهلية كانوا يطوفون حول البيت ويستقبلون الحجر الأسود وهؤلاء يطوفون حول القبور ويقبلونها ويتمسحون بها. وأهل الجاهلية كانوا يحجون لرحم سبحانه، وهؤلاء يحجون إلى القبور. وأهل الجاهلية لم يكونوا يستغيثون بأصنامهم ويطلبون منهم المدد ولا الولد. وهؤلاء يستغيثون بالموتى ويطلبون منهم المدد والولد وغير ذلك.



تلك القبور التي يبدوا لها سمة من الشموع وريحان وسجاد

الشرح

يذكر الشاعر في هذه البيت حال قبور المشركين وكيف أنَّ الشيطان أضلهم ودعاهم إلى تزيين القبور وإضائتها، وجعلوا لها سمة أي علامة ظاهرة على غيرها من القبور وذلك برفعها وبناء قبة عليها. وكل هذا مما نهي عنه:

فروى الإمام مسلم رحمه الله تعالى (٢٢٣٩) عن ثمامة بن شفي قال: ((كُنَّا مَعَ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ بِأَرْضِ الرُّومِ بِرُودِسَ فَتَوَفَّيَ صَاحِبٌ لَنَا فَأَمَرَ فَضَالَةُ بْنُ عُبَيْدٍ بِقَبْرِهِ فَسَوَّى ثُمَّ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُ بِتَسْوِيَتِهَا)) .
وروى الإمام مسلم رحمه الله تعالى (٢٢٤٠) عن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب: ((أَلَا أُبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ لَا تَدْعَ مَثَلًا إِلَّا طَمَسْتَهُ وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ)) .
وحدثني أبو بكر بن خلاد الباهلي حدثنا يحيى، وهو القطان حدثنا سفيان حدثني حبيب بهذا الإسناد وقال: ((وَلَا صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا)) .

وروى الإمام مسلم رحمه الله تعالى (٢٢٤٢) عن جابر رضي الله عنه قال: ((نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُجَصَّصَ الْقَبْرُ وَأَنْ يُقَعَّدَ عَلَيْهِ وَأَنْ يُنَيَّ عَلَيْهِ)) .

وروى أحمد (٢٠٣٠)، وأبو داود (٣٢٣٦)، والترمذي (٣٢٠)، والنسائي (٢٠٤٣) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُحَادَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا صَالِحٍ، يُحَدِّثُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: ((لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَائِرَاتِ الْقُبُورِ، وَالْمُتَجِدِّينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالشُّرُجَ)) .

وهذا الحديث في إسناده ضعف لكن **قال شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله تعالى كما في [مجموع الفتاوى] (٣١/

٤٥) ((وَبَنَاءُ الْمَسْجِدِ وَإِسْرَاجِ الْمَصَابِيحِ عَلَى الْقُبُورِ مِمَّا لَمْ أَعْلَمْ فِيهِ خِلَافًا أَنَّهُ مَعْصِيَةٌ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ)) .

قلت: وهذا التزيين والتطيب والإسراج للقبور من أسباب عبادتها من دون الله تعالى، وذلك أنَّ النفوس الضعيفة تنبهر بالمنظر الجميلة فيدعوها الغلو في المنظر إلى اعتقاد أنَّ صاحب ذلك القبر له شأن عظيم وأنه لولا أنه يضر وينفع لما فعل هذا بقبره، وكثير من الناس عقله في عينه فإذا رأى ما يبهره استولى ذلك على عقله وضل ضلالاً بعيداً.

قال الأمير الصنعاني رحمه الله في [تطهير الاعتقاد] (ص: ٤٥-٤٦):

((فَإِنَّ هَذِهِ الْقُبَابَ وَالْمَشَاهِدَ الَّتِي صَارَتْ أَعْظَمَ ذَرِيعَةً إِلَى الشَّرْكِ وَالْإِلْحَادِ وَأَكْبَرَ وَسِيلَةٍ إِلَى هَدْمِ الْإِسْلَامِ وَخَرَابِ بَنِيَانِهِ، غَالِبٌ . بَلْ كُلٌّ . مِنْ يَعْمُرُهَا هُمُ الْمُلُوكُ وَالسَّلَاطِينُ وَالرُّؤَسَاءُ وَالْوَلَاةُ إِمَّا عَلَى قَرِيبٍ لَهُمْ أَوْ عَلَى مَنْ يَحْسُنُونَ الظَّنَّ فِيهِ مِنْ فَاضِلٍ أَوْ عَالِمٍ أَوْ صَوْفِيٍّ أَوْ فَقِيرٍ أَوْ شَيْخٍ أَوْ كَبِيرٍ، وَيُزَوِّرُهُ النَّاسُ الَّذِينَ يَعْرِفُونَهُ زِيَارَةَ الْأَمْوَاتِ مِنْ دُونِ تَوْسُلٍ بِهِ وَلَا هَتَفٍ بِاسْمِهِ بَلْ يَدْعُونَ لَهُ وَيَسْتَغْفِرُونَ، حَتَّى يَنْقَرُضَ مَنْ يَعْرِفُهُ أَوْ أَكْثَرُهُمْ فَيَأْتِي مِنْ بَعْدِهِمْ فَيَجِدُوا قَبْرًا قَدْ شِيدَ عَلَيْهِ الْبِنَاءُ وَسُرِجَتْ عَلَيْهِ الشَّمْعُ وَفُرِشَ بِالْفَرَاشِ الْفَاخِرِ وَأُرْخِيتْ عَلَيْهِ السُّتُورُ وَأُلْقِيَتْ عَلَيْهِ الْأُورَادُ وَالزُّهُورُ، فَيَعْتَقِدُ أَنَّ ذَلِكَ لِنَفْعٍ أَوْ لِدَفْعِ ضَرٍّ وَيَأْتِيهِ السَّدَنَةُ يَكْذِبُونَ عَلَى الْمَيِّتِ بِأَنَّهُ فَعَلَ وَفَعَلَ وَأَنْزَلَ بِفُلَانٍ الضَّرَرَ وَبِفُلَانٍ النِّفْعَ، حَتَّى يَغْرَسُوا فِي جَبَلَتِهِ كُلِّ

باطل، ولهذا الأمر ثبت في الأحاديث النبوية اللعن على من أسرج على القبور وكتب عليها وبني عليها، وأحاديث ذلك واسعة معروفة، فإن ذلك في نفسه منها عنه، ثم هو ذريعة إلى مفسدة عظيمة.

فإن قلت: هذا قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد عمرت عليه قبة عظيمة أنفقت فيها الأموال، قلت هذا جهل عظيم بحقيقة الحال، فإن هذه القبة ليس بناؤها منه صلى الله عليه وسلم ولا من أصحابه ولا من تابعيه ولا تابعي التابعين ولا من علماء أئمة ملته، بل هذه القبة المعمولة على قبره صلى الله عليه وسلم من أبنية بعض ملوك مصر المتأخرين وهو قلاوون الصالحى المعروف بالملك المنصور في سنة ثمان وسبعين وستمائة، ذكره في "تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة" فهذه أمور دولية لا دليلية، يتبع فيها الآخر الأول)).

وقال العلامة الشوكاني رحمه الله في [الدر النضيد] (ص: ٢١-٢٢) ((ولا شك أن علة النهي عن جعل القبور مساجد وعن تسريحها وتخصيصها ورفعها وزخرفتها هي: ما ينشأ عن ذلك من الاعتقادات الفاسدة؛ كما ثبت في "الصحيح"، عن عائشة . رضي الله عنها . أن أم سلمة ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسة رأها بأرض الحبشة وما فيها من الصور؛ فقال: "أولئك إذا مات فيهم الرجل أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجداً، وصوراً فيه تلك الصور؛ أولئك شرار الخلق عند الله".

ولابن خزيمة، عن مجاهد: ؟ أفرايتم اللات والعزى؟ قال: "كان يلت له السويق، فمات؛ فعكفوا على قبره". وكل عاقل يعلم أن لزيادة الزخرفة للقبور وإسبال الستور الرائقة عليها وتسريحها والتأثق في تحسينها تأثيراً في طبائع غالب العوام؛ ينشأ عنه التعظيم والاعتقادات الباطلة، وهكذا إذا استعظمت نفوسهم شيئاً مما يتعلّق بالأحياء؛ وبهذا السبب اعتقدت كثير من الطوائف الإلهية في أشخاص كثيرة!

ورأيت في بعض كتب التاريخ أنه قدم رسول لبعض الملوك على بعض خلفاء بني العباس؛ فبالغ الخليفة في التحويل على ذلك الرسول، وما زال أعوانه ينقلونه من رتبة إلى رتبة؛ حتى وصل إلى المجلس الذي يقعد الخليفة في برج من أبراجه، وقد جمل ذلك المنزل بأبهى الآيات، وقعد فيه أبناء الخلفاء وأعيان الكبراء، وأشرف الخليفة من ذلك البرج، وقد انخلع قلب ذلك الرسول مما رأى؛ فلمّا وقعت عيناه على الخليفة؛ قال لمن هو قابض على يده من الأمراء: أهذا الله؟! فقال ذلك الأمير: بل هذا خليفة الله. فانظر ما صنع ذلك التحسين بقلب هذا المسكين!

وؤوي لنا أن بعض أهل جهات القبلة وصل إلى القبة الموضوعة على قبر الإمام أحمد بن الحسين . صاحب ذي بين . "رحمة الله"؛ فرآها وهي مسرحة بالشّمع، والبحور ينفخ في جوانبها، وعلى القبر الستور الفائقة؛ فقال عند وصوله إلى الباب: أمسيّت بالخير يا أرحم الراحمين)).



في كل قبر ترى الهامات عاكفة عليه مجلوبة رقص وإنشاد

الشرح

في هذه البيت يذكر الشاعر بعض أحوال القبورين مع من يعظمونه من الأموات فقال: (في كل قبر ترى الهامات عاكفة) والهامات جمع هامة، والهامة الرأس والجمع هام وقيل الهامة ما بين حَرْفِي الرأس وقيل هي وسط الرأس. والعكوف هو لزوم المكان، والمعنى أنك ترى كثيراً من الناس عاكفين عند القبور كما عكف أسلافهم من المشركين عند أصنامهم.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ٥٢ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ٥٣ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ٥٤﴾ [الأنبياء: ٥١ - ٥٤].

وقال الله تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ٦١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ٦٢ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَّلُ لَهَا عَافِيَةً ٦٣ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ ٦٤ أَوْ يَبْصُرُونَ ٦٥ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ٦٦ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ٦٧ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ٦٨ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ٦٩﴾ [الشعراء: ٦٩ - ٧٧].

وقال الله تعالى: ﴿وَجَنُوزًا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَاتُوا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ١٣٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَّبِعُوا مَا هُمْ فِيهِ وَنَظَّلُوا مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ١٣٩ قَالَ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْنِيَكُمْ إِلَهُهَا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ١٤٠﴾ [الأعراف: ١٣٨ - ١٤٠].

والاعتكاف عبادة من العبادات وإنما شرعه الله تعالى في المساجد.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُبَشِّرُوهُمْ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ١٨٧﴾ [البقرة: ١٨٧].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في [مجموع الفتاوى] (٢٧ / ٢٥٢):

((فَلَا يَكُونُ الْإِعْتِكَافُ إِلَّا فِي الْمَسَاجِدِ بِاتِّفَاقِ الْعُلَمَاءِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُبَشِّرُوهُمْ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ لَا يَكُونُ الْإِعْتِكَافُ لَا بِخَلْوَةٍ وَلَا غَيْرِ خَلْوَةٍ؛ لَا فِي غَارٍ وَلَا عِنْدَ قَبْرِ وَلَا غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَقْصِدُ الضَّالُّونَ السَّفَرُ إِلَيْهِ وَالْعُكُوفَ عِنْدَهُ كَعُكُوفِ الْمُشْرِكِينَ عَلَى أَوْثَانِهِمْ. قَالَ الْحَلِيلُ: ﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ وَقَالَ

تَعَالَى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ * إِنَّ هَؤُلَاءِ مَثَبُ مِمَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ((

وقال رحمه الله في [اقتضاء الصراط المستقيم] (٢/ ٣٥٦-٣٥٨):

((والاعتكاف من العبادات المشروعة بالمساجد باتفاق الأئمة، كما قال تعالى ﴿وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾

[البقرة: ١٨٧] أي: في حال عكوفكم في المساجد لا تباشروهن، وإن كانت المباشرة خارج المسجد. ولهذا

قال الفقهاء: إن ركن الاعتكاف: لزوم المسجد لعبادة الله. ومحظوره الذي يبطله: مباشرة النساء.

فأما العكوف والمجاورة عند شجرة أو حجر، تمثال أو غير تمثال، أو العكوف والمجاورة عند قبر نبي، أو غير نبي، أو مقام نبي، أو غير نبي، فليس هذا من دين المسلمين، بل هو من جنس دين المشركين، الذين أخبر الله عنهم بما ذكره في كتابه،

حيث قال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا

عَاكِفُونَ * قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ * قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَتْأَمُّونَ * قَالُوا أَجِئْنَا بِالْحَقِّ أَمْ

أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ * قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ * وَتَاللَّهِ

لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ * فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٥١ -

٥٨] (١) الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ * قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَّلُهَا عَاكِفِينَ * قَالَ هَلْ

يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ * قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ * قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ

تَعْبُدُونَ * أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ * الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي

وَيَسْقِينِي * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي * وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِي * وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الشعراء:

٦٩ - ٨٢] إلى آخر القصة.

وقال تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا

لَهُمْ آلِهَةٌ قَالُوا إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ * إِنَّ هَؤُلَاءِ مَثَبُ مِمَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ * قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ

فَضْلُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٨ - ١٤٠].

فهذا عكوف المشركين، وذاك عكوف المسلمين، فعكوف المؤمنين في المساجد لعبادة الله وحده لا شريك له، وعكوف

المشركين على ما يرجونه، ويخافونه من دون الله، وما يتخذونهم شركاء وشفعاء فإن المشركين لم يكن أحد منهم يقول: إن

العالم له خالقان ولا إنَّ الله له شريك يساويه في صفاته، هذا لم يقله أحد من المشركين، بل كانوا يقولون بأنَّ خالق السماوات والأرض واحد، كما أخبر الله عنهم بقوله: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥] (٣) وقوله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قُلْ مَنْ يَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤ - ٨٩] ((.

وقول الشاعر: (مجلوبة رقص وإنشاد) الجلبة هي الأصوات والمراد هنا أصوات الرقص والإنشاد، والإنشاد إلقاء الشعر، والنشيد هو الصوت، والمراد هنا رفع الصوت بالأشعار.

وهذان الأمران هما عبودية الصوفية عند المشاهد وفي المساجد، وهم أشبه ما يكونون بمن قال الله فيهم: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لِبَآءٍ وَلَهُوَ وَعَرَّتَهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِ أَنْ تَبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعَدَلَ كُلُّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذَ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [الأنعام: ٧٠].

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلِبَآءٍ وَعَرَّتَهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسِفُهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِعَائِنِنَا بِمُحَدِّثِينَ﴾ [الأعراف: ٥١].

وقال: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٥].

والرقص والتصفيق والصفير هي صلاة الشيطان والمزمار هو مؤذنه.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في [إغاثة اللهفان] (١/ ٢٥٣):

((وأما كون المزمار مؤذنه ففي غاية المناسبة فإنَّ الغناء قرآنه والرقص والتصفيق اللذين هما المكاء والتصدية صلاته فلا بد لهذه الصلاة من مؤذن وإمَّا ومأموم فالمؤذن المزمار والإمام المغني والمأموم الحاضرون)).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في [مجموع الفتاوى] (١١/ ٥٩٩):

((وأما "الرقص" فلم يأمر الله به ولا رسوله ولا أحد من الأئمة بل قد قال الله في كتابه: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ وقال في كتابه: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ أي: بسكينة ووقار. وإمَّا عبادة المسلمين الركوع والسجود؛ بل الدُّفُّ والرقص في الطَّابِقِ لم يأمر الله به ولا رسوله ولا أحد من سلف الأئمة؛ بل أمروا بالقرآن في الصلاة والسكينة)).

❦ وقال رحمه الله في [الاستقامة] (١/ ٣٠٥-٣١٤):

((فإنَّ أصل سماع القصائد كان تلحيناً بإنشاد قصائد مرققة للقلوب تحرك تحريك المحبة والشوق أو الخوف والخشية أو الحزن والأسف وغير ذلك وكانوا يشترطون له المكان والإمكان والخلان فيشترطون أن يكون المجتمعون لسماعها من أهل الطريق المرادين لوجه الله والدار الآخرة وأن يكون الشعر المنشد غير متضمن لما يكره سماعه في الشريعة وقد يشترط بعضهم أن يكون القوال منهم وربما اشترط بعضهم ذلك في الشاعر الذي انشأ تلك القصائد وربما ضموا إليه آلة تقوى الصوت وهو الضرب بالقضيب على جلد مخدة أو غيرها وهو التعبير.

ومن المعلوم أنَّ استماع الأصوات يوجب حركة النفس بحسب ذلك الصوت الذي يوجب الحركة وهو يوجب الحركة. وللاصوات طبائع متنوعة تتنوع آثارها في النفس وكذلك للكلام المسموع نظمه ونثره فيجمعون بين الصوت المناسب والحروف المناسبة لهم.

وهذا الأمر يفعل به بنو آدم من أهل الديانات البدعية كالنصارى والصابئة وغير أهل الديانات ممن يحرك بذلك حبه وشوقه ووجدته أو حزنه وأسفه أو حميته وغضبه أو غير ذلك فخلف بعد أولئك من صار يجمع عليه أخلاطاً من الناس ويرون اجتماعهم لذلك شبكة تصطاد النفوس بزعمهم إلى التوبة والوصول في طريق أهل الإرادة .

وأحدث بعد أولئك أيضاً الاستماع من المخانيث المعروفين بالغناء لأهل الفسوق والزنا وربما استمعوه من الصبيان المردان أو من النسوان الملاح كما يفعل أهل الدساكر والمواخير.

وقد يجمعون في السماع أنواع الفساق والفجار وربما قصدوا التكاثر بهم والافتخار لا سيما إن كانوا من أهل الرياسة واليسار وكثيراً ما يحضر فيه أنواع المردان وقد يكون ذلك من أكبر مقاصد أهل السماع وربما ألبسوهم الثياب المصبغة الحسنة وأرقصوهم في طابق الرقص والدوران وجعلوا مشاهدتهم بل معانقتهم مطلوباً لمن يحضر من الأعيان وإذا غلبهم وجد الشيطان رفعوا الأصوات التي ييغضها الرحمن.

وكذلك زادوا في الابتداع في إنشاد القصائد فكثيراً ما ينشدون أشعار الفساق والفجار وفيهم كثير ينشدون أشعار الكفار بل ينشدون ما لا يستحيزه أكثر أهل التكذيب وإنما يقوله أعظم الناس كفراً برب العالمين وأشداهم بعداً عن الله ورسوله والمؤمنين.

وزادوا أيضاً في الآلات التي تستثار بها الأصوات مما يصنع بالأفواه والأيدي كأبواق اليهود ونواقيس النصارى من يبلغ المنكرات كأنواع الشبابات والصفارات وأنواع الصلاصل والأوتار المصوتات ما عظمت به الفتنة حتى ربا فيها الصغير وهم فيها الكبير وحتى اتخذوا ذلك ديناً وديناً وجعلوه من الوظائف الراتبية بالغداة والعشى كصلاة الفجر والعصر وفي الأوقات والأماكن الفاضلات واعتاضوا به عن القرآن والصلوات.

وصدق فيهم قوله: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾ [مریم: ٥٩] وصار

لهم نصيب من قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْإِثْبَتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال: ٣٥] إذ المكاء هو الصفير

ونحوه من الغناء والتصدية هي التصفيق بالأيدي فإذا كان هذا سماع المشركين الذي ذمه الله في كتابه فكيف إذا اقترن بالكماء الصفارات المواصيل وبالتصدية مصلصات الغرايل وجعل ذلك طريقاً وديناً يتقرب به إلى المولى الجليل وظهر تحقيق قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: الغناء يثبت النفاق في القلب كما يثبت الماء البقل.

بل أفضى الأمر إلى أن يجتمع في هذا السماع على الكفر بالرحمن والاستهزاء بالقرآن والذم للمساجد والصلوات والطعن في أهل الإيمان والقربات والاستخفاف بالأنبياء والمرسلين والتحضيض على جهاد المؤمنين ومعاونة الكفار والمنافقين واتخاذ المخلوق إلهاً من دون رب العالمين وشرب أبوال المستمعين وجعل ذلك من أفضل أحوال العارفين ورفع الأصوات المنكرات التي أصحابها شر من البهائم السائمات الذين قال الله في مثلهم: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]

الذين يفعلون في سماعتهم ما لا يفعله اليهود والنصارى ولهذا يتولون من يتولاهم من اليهود والنصارى والصابئة والمشركون والمجوس ويجعلونهم من إخوانهم وأصحابهم وأهل خرقتهم مع معاداتهم للأنبياء والمؤمنين. فصار السماع المحدث دائراً بين الكفر والفسوق والعصيان ولا حول ولا قوة إلا بالله وكفره من أغلظ الكفر وأشدّه وفسوقه من أعظم الفسوق، وذلك أن تأثير الأصوات في النفوس من أعظم التأثير يغييها ويغذيها حتى قيل: إنه لذلك سمى غناء لأنه يغني النفس.

وهو يفعل في النفوس أعظم من حميا الكؤوس حتى يوجب للنفوس أحوالاً عجيبة يظن أصحابها أن ذلك من جنس كرامات الأولياء وإنما هو من الأمور الطبيعية الباطلة المبعدة عن الله إذ الشياطين تدهم في هذا السماع بأنواع الإمداد

كما قال تعالى: ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٢] وقال للشيطان: ﴿وَاسْتَفْرِزْ مِنْ

اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤] فرمما يخف أحدهم حتى يرقص فوق رؤوسهم ويكون شيطانه هو المغوى لنفوسهم ولهذا كان مرة في سماع يحضره الشيخ شبيب الشطي فيبينما هم في سماع أحدهم وإذا بعفريت يرقص في الهواء على رؤوسهم فتعجبوا منه وطلب الشيخ لمريده الشيخ أبا بكر بن فينان وكان له حال ومعرفة فلما رآه صرخ فيه فوقع فما فرغوا طلب منه أن ينصفه وقال: هذا سلبني حالي فقال الشيخ: لم يكن له حال ولكن كان بالرحبة فحمله شيطانه إلى هنا وجعل يرقص به فلما رأيت الشيطان صرخت فيه فهرب فوق هذا.

والقصة معروفة يعرفها أصحاب الشيخ.

وصار في أهل هذا السماع المحدث الذين اتخذوا دينهم لغواً ولعباً ضد ما أحبه الله وشرعه في دين الحق الذي بعث به

رسوله من عامة الوجوه بل صار مشتملاً على جميع ما حرمة الله ورسله. كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ

مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

[الأعراف: ٣٣] فصار فيه من الفواحش الظاهرة والباطنة والإثم والبغي بغير الحق والإشراك بالله ما لم ينزل به سلطاناً والقول على الله بغير علم ما لا يحصيه إلا الله فإنه تنوع وتعدد وتفرق أهله فيه وصاروا شيعاً لكل قوم ذوق ومشروب وطريق يفارقون به غيرهم حتى في الحروف المنشدة والأصوات الملحنة والأذواق الموجودة والحركات الثائرة والقوم المجتمعين وصار من فيه من العلم والإيمان ما ينهاه عما ظهر تحريمه من أنواع الكفر والظلم والفواحش يريد أن يحد حداً للسمع المحدث يفصل به بين ما يسوغ منه وما لا يسوغ فلا يكاد ينضبط حد لا بالقول ولا بالعمل فإن قرب في الضبط والتحديد بالقول لم ينضبط له بالعمل إذ يندر وجود تلك الشروط حتى إنه اجتمع مرة ببغداد في حال عمارتها ووجود الخلافة بها أعيان الشيوخ الذين يحضرون السماع المفتون فلم يجدوا من يصلح له في بغداد وسوادها إلا نفرًا ثلاثاً وإمّا أربعة وإمّا نحو ذلك.

وسبب هذا الإضراب أنه ليس من عند الله وما كان من عند غير الله وجدوا فيه اختلافاً كثيراً: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٠) مُبِينِينَ إِلَيْهِ وَآتَوْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣٠ - ٣٢].

ثم مع اشتماله على المحرمات كلها أو بعضها يرون أنه من أعظم القربات بل أعظمها وأجلها قدراً وأن أهله هم الصفوة أولياء الله وخيرته من خلقه ولا يرضون بمساواة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار وسلف الأمة حتى يتفضلوا عليهم وفيهم من يساوون أنفسهم بالأنبياء والمرسلين وفيهم من يتفضل أيضاً على الأنبياء والمرسلين على أنواع من الكفر التي ليس هذا موضعها.

وجماع الأمر أنه صار فيه وفيما يتبعه في وسائل ذلك ومقاصده في موجوده ومقصوده في صفته ونتيجته ضد ما في السماع والعبادات الشرعية في وسائلها ومقاصدها ومقصودها صفتها ونتيجتها فذاك يوجب العلم والإيمان وهذا يوجب الكفر والنفاق ولهذا كان أعراب الناس أهل البوادي من العرب والترك والکرد وغيرهم أكثر استعمالاً له من أهل القرى فإيهم كما قال الله تعالى: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾ [التوبة: ٩٧].

ولهذا كان يحضره الشياطين كما أن سماع أهل الإيمان تحضره الملائكة وتنزل عليهم فيه الشياطين وتوحى إليهم كما تنزل الملائكة على المؤمنين وتقذف في قلوبهم ما أمرهم الله فإن الملائكة تنزل عند سماع القرآن وعند ذكر الله كما في الصحيح: "ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا غشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده"، وفي الصحيح أن أسيد بن الحضير كان يقرأ سورة الكهف فرأى مثل الظلة فيها أمثال المصابيح فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "تلك السكينة تنزلت لسماع القرآن".

وفي الصحيح: "إن لله ملائكة فضلاء عن كتاب الناس فإذا رأوا قوماً يذكرن الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم" الحديث بطوله.

وهذا السماع المحدث تحضره الشياطين كما رأى ذلك من كشف له وكما توجد آثار الشياطين في أهله حتى أنَّ كثيراً منهم يغلب عليه الوجد فيصعق كما يصعق المصروع ويصبح كصياحه ويجري على لسانه من الكلام ما لا يفهم معناه ولا يكون بلغته كما يجري على لسان المصروع وربما كان ذلك من شياطين قوم من الكفار الذي يكون أهل ذلك السماع مشاهدين لقلوبهم كما يوجد ذلك في أقوام كثيرين كانوا يتكلمون في وجدهم واختلاطهم بلغة الترك التتر الكفار فينزل عليهم شياطينهم ويغوونهم ويقتون منافقين موالين لهم وهم يظنون أنهم من أولياء الله وإنما هم من أولياء الشيطان وحزبه ولهذا يوجد فيه مما يوجد في الخمر من الصد عن ذكر الله وعن الصلاة ومن إيقاع العداوة والبغضاء حتى يقتل بعضهم بعضاً فيه ولهذا يفعلونه على الوجه الذي يحبه الشيطان ويكرهه الرحمن)).

قلت: وقد بسط شيخ الإسلام رحمه الله القول في ذلك فوفى المراد، ومن أراد المزيد فليرجع إلى الكتاب المذكور. وتوسع الناس في هذه الأزمان فيما سمونه بالأنشيد الإسلامية والإسلام من ذلك براء فصارت على الإيقاعات الموسيقية واستعملت لها سائر آلات اللهو والطرب، وربما غيرت ألفاظ أغنية ماجنة وألقت كما هي من حيث الإيقاعات والنغمات وآلات اللهو المطربات، ويظن أهلها أنهم بما يدعون إلى الله تعالى والدار الآخرة، وإنما يدعون إلى الفجور وهجر القرآن. فصارت الأنشيد التي تسمى إسلامية تثير الشهوات كما تثير الأغاني الماجنة. ولهذا صارت كثير من النساء يتجهن إلى سماعها كما يتجهن إلى سماع غيرها من الأغاني الماجنة، وذلك لأنَّ الألحان المطربة والمزامير والطبول والدفوف وغيرها من آلات اللهو تثير الغرائز المحرمة.

والله العلامة ابن القيم حيث يقول في [إغاثة اللهيان] (١/ ٢٤٧): ((ومن الأمر المعلوم عند القوم: أنَّ المرأة إذا استصعبت على الرجل اجتهد أن يسمعها صوت الغناء فحينئذ تعطي الليان، وهذا لأنَّ المرأة سريعة الانفعال للأصوات جداً فإذا كان الصوت بالغناء صار انفعالها من وجهين: من جهة الصوت ومن جهة معناه ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لأنجشة حاديته: "يا أنجشة رويدك رفقا بالقوارير" يعني النساء. فأما إذا اجتمع إلى هذه الرقية الدف والشبابة والرقص بالتخنث والتكسر فلو حبلت المرأة من غناء لحبلت من هذا الغناء، فلعمركم من حرة صارت بالغناء من البغايا، وكم من حر أصبح به عبداً للصبيان أو الصبايا، وكم من غيور تبدل به اسماً قبيحاً بين البرايا، وكم من ذي غنى وثروة أصبح بسببه على الأرض بعد المطارف والحشايا، وكم من معافي تعرض له فأمسى وقد حلت به أنواع البلايا، وكم أهدى للمشغوف به من أشجان وأحزان فلم يجد بداً من قبول تلك الهدايا، وكم جرع من غصة وأزال من نعمة وجلب من نقمة وذلك منه من إحدى العطايا، وكم خبأ لأهله من آلام منتظرة وغموم متوقعة وهموم مستقبلية .

فسل ذا خبرة ينبيك عنه ... لتعلم كم خبايا في الزوايا

وحاذر إن شغفت به سهاماً ... مريشة بأهداب المنيا

إذا ما خالطت قلباً كئيباً ... تمزق بين أطباق الرزايا

ويصبح بعد أن قد كان حراً ... عفيف الفرج: عبداً للصبايا

ويعطي من به يغني غناء ... وذلك منه من شر العطايا)).



**وبلبل المدح قد قامت قيامته تراه في الأرض هباطاً وصعاد
له وللطار غوغاء ومعترك كلاهما مسه ضرر وإجهاد**

الشرح

بينَّ الشاعر في هذه البيت حال المنشد الصوفي في مجلس السماع كيف أنَّه تضطرب أركانه ويعلوا صراخه وتنتفخ أوداجه، وتارة يهبط إلى الأرض، وتارة يعلو ببدنه فشأنه كمن تتخبطه الشياطين من المس. والعجيب أنَّهم جعلوا ذلك ديناً يتقربون به إلى الله تعالى، ولهذا لا يتحاشون من فعله في الأماكن المباركة وفي الأزمان المباركة، وهذا من أعظم المنكرات التي يجب انكارها.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في [إغاثة اللهفان] (١/ ٢٢٤-٢٢٦)

((فصل: ومن مكاييد عدو الله ومصايد، التي كاد بها من قل نصيبه من العلم والعقل والدين، وصاد بها قلوب الجاهلين والمبطلين، سماع المكاء، والتصدية، والغناء بالآلات المحرمة، الذي يصد القلوب عن القرآن، ويجعلها عاكفة على الفسوق والعصيان، فهو قرآن الشيطان، والحجاب الكثيف عن الرحمن، وهو رقية اللواط والزنا، وبه ينال العاشق الفاسق من معشوقة غاية المنى، كاد به الشيطان النفوس المبطله، وحسنه لها مكرراً منه وغروراً، وأوحى إليها الشبه الباطلة على حسنه فقبلت وحيه واتخذت لأجله القرآن مهجوراً، **فلو رأيتهم عند ذباك السماع وقد خشعت منهم الأصوات، وهدأت منهم الحركات، وعكفت قلوبهم بكليتها عليه، وانصبت انصبابة واحدة إليه، فتمايلوا له ولا كتمایل النشوان، وتكسروا في حركاتهم ورقصهم، أرايت تكسر المخانيث والنسوان؟ ويحق لهم ذلك، وقد خالط خمارة النفوس، ففعل فيها أعظم ما تفعله حُمَيَّه الكؤوس، فلغير الله، بل الشيطان، قلوب هناك تمزق، وأثواب تشقق، وأموال في غير طاعة الله تنفق، حتى إذا عمل السكر فيهم عمله، وبلغ الشيطان منهم أمنيته وأمله، واستفزه بصوته وحيله، وأجلب عليهم برجله وخیله، وخَزَّ في صدورهم وخزاً. وأزَّهم إلى ضرب الأرض بالأقدام أزا، فطورا يجعلهم كالحمير حول المدار، وتارة كالذباب ترقص وسَيْطُ الديار. فيا رحمتا للسقوف والأرض من دك تلك الأقدام، ويا سوأتا من أشباه الحمير والأنعام، ويا شماتة أعداء الإسلام، بالذين يزعمون أنهم خواص الإسلام قضوا حياتهم لذة وطرباً، واتخذوا دينهم لهواً ولعباً، مزامير الشيطان أحب إليهم من استماع سور القرآن، لو سمع أحدهم القرآن من أوله إلى آخره لما حرك له ساكناً، ولا أزعج له قاطناً، ولا أثار فيه وجداً، ولا قدح فيه من لواعج الشوق إلى الله زنداً، حتى إذا تلى عليه قرآن الشيطان، وولج مزبور سمعه، تفجرت ينابيع الوجد من قلبه على عينه فجرت، وعلى أقدامه فرقست، وعلى يديه فصفت، وعلى سائر أعضائه فاهتزت وطربت، وعلى أنفاسه فتصاعدت، وعلى زفراته فتزايدت، وعلى نيران أشواقه فاشتعلت، فيا أيها الفاتن المفتون، والبائع حظه من الله بنصيبه من الشيطان صفقة خاسر مغبون، هلا كانت هذه الأشجان، عند سماع القرآن؟ وهذه الأذواق والمواجيد، عند قراءة القرآن المجيد؟ وهذه الأحوال السنيات، عند تلاوة السور والآيات؟ ولكن كل امرئ يصبو إلى ما يناسبه، ويميل إلى ما يشاكله، والجنسية علة الضم قدراً وشرعاً، والمشاكلة سبب**

الميل عقلاً وطبعاً، فمن هذا أين الإخاء والنسب؟ لولا التعلق من الشيطان بأقوى سبب، ومن أين هذه المصالحات التي أوقعت في عقد الإيمان وعهد الرحمن خللاً؟

﴿أَفْتَحْذُونَهُ وَذَرِيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠].

ولقد أحسن القائل:

تلى الكتاب، فأطرقوا، لا خيفة ... لكِنَّهُ إِطْرَاقُ سَاهٍ لَاهِي
وَأَتَى الْغِنَاءَ، فَكَالْحَمِيرِ تَنَاهَهُوا ... وَاللَّهِ مَا رَقَصُوا لِأَجْلِ اللَّهِ
دُفٍ وَمِزْمَارٍ، وَنَعْمَةُ شَاذِنٍ ... فَمَتَى رَأَيْتَ عِبَادَةً بِمِلاهي؟
ثَقُلَ الْكِتَابُ عَلَيْهِمْ لَمَّا رَأَوْا ... تَقْيِيدُهُ بِأَوَامِرٍ وَنَوَاهِي
سَمِعُوا لَهُ رَعْدًا وَبَرْقًا، إِذْ حَوَى ... زَجْرًا وَتَخْوِيفًا مَنَاهِي
وَرَأَوْهُ أَعْظَمَ قَاطِعٍ لِلنَّفْسِ عَنْ ... شَهَوَاتِهَا، يَازْجِحُهَا الْمَنَاهِي
وَأَتَى السَّمَاعُ مُوَافِقًا عَرَضَهَا ... فَلَأَجَلَ ذَاكَ غَدَا عَظِيمَ الْجَاهِ
أَيْنَ الْمِسَاعِدُ لِلْهَوَى مِنْ قَاطِعٍ ... أَسْبَابُهُ، عِنْدَ الْجَهُولِ السَّاهِي؟
إِنْ لَمْ يَكُنْ خَمَرُ الْجُسُومِ، فَإِنَّهُ ... خَمَرُ الْعُقُولِ مُثَالٍ وَمُضَاهِي
فَانْظُرْ إِلَى النَّسْوَانِ عِنْدَ شَرَابِهِ ... وَانْظُرْ إِلَى النَّسْوَانِ عِنْدَ مِلاهي
وَانْظُرْ إِلَى تَمْرِيقِ ذَا أَثْوَابِهِ ... مِنْ بَعْدِ تَمْرِيقِ الْفُؤَادِ الْلاهي
وَاحْكَمْ فَأَيَّ الْخَمْرَتَيْنِ أَحَقُّ ... بِالتَّحْرِيمِ، وَالتَّائِيهِمْ عِنْدَ اللَّهِ؟
وقال آخر:

برئنا إلى الله من مَعْشَرٍ ... يَهُمُّ مَرَضٌ مِنْ سَمَاعِ الْغِنَا
وَكَمْ قَلْتُ يَا قَوْمُ، أَنْتُمْ عَلَى ... شَفَا جُرْفٍ مَابِهِ مِنْ بِنَا
شَفَا جُرْفٍ تَحْتَهُ هُوَّةٌ ... إِلَى دَرَكٍ، كَمْ بِهِ مِنْ عَنَا
وَتَكَرَّرَ النَّصْحُ مِنَّا لَهُمْ ... لِنُعْذِرَ فِيهِمْ إِلَى رَبِّنَا
فَلَمَّا اسْتَهَانُوا بِتَنْبِيهِنَا ... رَجَعْنَا إِلَى اللَّهِ فِي أَمْرِنَا
فَعِشْنَا عَلَى سُنَّةِ الْمُصْطَفَى ... وَمَاتُوا عَلَى تَنْبِيَتِنَا

ولم يزل أنصار الإسلام وأئمة الهدى، تصيح بهؤلاء من أقطار الأرض، وتحذر من سلوك سبيلهم، واقتفاء آثارهم من، جميع طوائف الملة.

قال الإمام أبو بكر الطرطوشي في خطبة كتابه، في تحريم السماع:

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، ونسأله أن يرينا الحق حقاً فننتبهه، والباطل باطلاً فنجتنبه. وقد كان الناس فيما مضى يستتر أحدهم بالمعصية إذا واقعها، ثم يستغفر الله ويتوب إليه منها، ثم كثر الجهل،

وقل العلم، وتناقص الأمر، حتى صار أحدهم يأتي المعصية جهاراً، ثم ازداد الأمر إدباراً، حتى بلغنا أن طائفة من إخواننا المسلمين - وفقنا الله وإياهم - استزلهم الشيطان، واستغوى عقولهم في حب الأغاني واللهو، وسماع الطقطقة والنقيير، واعتقدته من الدين الذي يقربهم إلى الله وجاھرت به جماعة المسلمين وشاقت سبيل المؤمنين، وخالفت الفقهاء والعلماء وحملة الدين: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ

مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥] . فرأيت أن أوضح الحق، وأكشف عن شبه أهل الباطل، بالحجج التي تضمنها كتاب الله، وسنة رسوله، وأبدأ بذكر أقاويل العلماء الذين تدور الفتيا عليهم في أقاصى الأرض ودانيها، حتى تعلم هذه الطائفة أنها قد خالفت علماء المسلمين في بدعتها. والله ولي التوفيق ((.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في [إغاثة اللهفان] (١ / ٢٣١-٢٣٣):

((قلت: ومن أعظم المنكرات: تمكينهم من إقامة هذا الشعار الملعون هو وأهله في المسجد الأقصى، عشية عرفة. وقيمونه أيضاً في، مسجد الخيف أيام منى. وقد أخرجناهم منه بالضرب والنفي مراراً، ورأيتهم يقيمون بالمسجد الحرام نفسه والناس في الطواف، فاستدعيت حزب الله وفرقنا شملهم. ورأيتهم يقيمون بعرفات، والناس في الدعاء، والتضرع، والابتهاال والضحيج إلى الله، وهم في هذا السماع الملعون باليراع والدف والغناء.

فإقرار هذه الطائفة على ذلك فسق يقدر في عدالة من أقرهم ومنصبه الديني.

وما أحسن ما قال بعض العلماء وقد شاهد هذا وأفعالهم:

أَلَا قُلْ لَهُمْ قَوْلَ عَبْدٍ نَصُوحٍ ... وَحَقُّ النَّصِيحَةِ أَنْ تُسْمَعَ:

مَتَى عَلِمَ النَّاسُ فِي دِينِنَا ... بَأَنَّ الْغِنَا سُنَّةٌ تُتَّبَعُ؟

وَأَنْ يَأْكُلَ الْمَرْءُ أَكْلَ الْحِمَا ... رَ وَيَرْفُصَ فِي الْجَمْعِ حَتَّى يَقَعَ؟

وَقَالُوا: سَكَرْنَا بِحُبِّ الْإِلَهِ ... وَمَا أَسْكَرَ الْقَوْمَ إِلَّا الْقِصْعُ

كَذَاكَ الْبَهَائِمُ إِنْ أَشْبَعَتْ ... يُرْقِصُهَا رِيْثُهَا وَالشَّبْعُ

وَيَسْكِرُهُ النَّائِي، ثُمَّ الْغِنَا ... وَيَسْ لَوْ ثَلَيْتَ مَا انْصَدَعَ

فِيَا لِلْعُقُولِ، وَيَا لِلنُّهَى ... أَلَا مُنْكَرٌ مِنْكُمْ لِلْبِدْعِ

تُهَانُ مَسَاجِدُنَا بِالسَّيِّئِ ... عِ وَتُكْرَمُ عَنْ مِثْلِ ذَاكَ الْبَيْعِ

وقال آخر، وأحسن ما شاء:

ذَهَبَ الرَّجَالُ وَحَالَ دُونَ مَجَالِهِمْ ... زُمَرٌ مِنَ الْاَوْبَاشِ وَالْأَنْدَالِ

رَعَمُوا بِأَنَّهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ ... سَارُوا، وَلَكِنْ سِيرَةَ الْبَطَالِ

لَيْسُوا الدُّلُوقَ مُرَقَّعًا، وَتَقَشُّفُوا ... كَتَقَشُّفِ الْأَقْطَابِ وَالْأَبْدَالِ

قَطَعُوا طَرِيقَ السَّالِكِينَ، وَغَوَرُوا ... سُبُلَ الْهُدَى، بِجَهَالَةٍ وَضَلَالِ

عَمَرُوا ظَوَاهِرَهُمْ بِأَثْوَابِ النَّقَى ... وَحَسَّوْا بَوَاطِنَهُمْ مِنَ الْأَذْغَالِ
 إِنَّ قُلْتُ: قَالَ اللَّهُ، قَالَ رَسُولُهُ ... هَمْزُوكَ هَمْزُ الْمُنْكَرِ الْمِتَعَالَى
 أَوْ قُلْتُ: قَدْ قَالَ الصَّحَابَةُ، وَالْأُولَى ... تَبِعُوهُمْ فِي الْقَوْلِ وَالْأَعْمَالِ
 أَوْ قُلْتُ: قَالَ الْآلُ، آلُ الْمُصْطَفَى ... صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ، أَفْضَلِ آلِ
 أَوْ قُلْتُ: قَالَ الشَّافِعِيُّ، وَأَحْمَدُ ... وَأَبُو حَنِيفَةَ، وَالْإِمَامُ الْعَالِي
 أَوْ قُلْتُ: قَالَ صَحَابُهُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ ... فَالْكُلُّ عِنْدَهُمْ كَشِبِهِ خِيَالِ
 وَيَقُولُ: قُلِّي قَالَ لِي، عَنْ سِرِّهِ، ... عَنْ سِرِّ سِرِّي، عَنْ صَفَا أَحْوَالِي
 عَنْ حَضْرَتِي، عَنِ فِكْرَتِي عَنْ خَلَوَتِي ... عَنْ شَاهِدِي عَنْ وَارِدِي عَنْ حَالِي
 عَنْ صَفْوِ وَفْتِي، عَنْ حَقِيقَةِ مَشْهَدِي ... عَنْ سِرِّ دَاتِي، عَنْ صِفَاتِ فِعَالِي
 دَعْوَى، إِذَا حَقَّقْتَهَا، أَلْفَيْتَهَا ... أَلْقَابُ زُورٍ، لُفَّتْ بِمُحَالِ
 تَرَكُوا الْحَقَائِقَ وَالشَّرَائِعَ، وَافْتَدَوْا ... بِظَوَاهِرِ الْجُتَاهِلِ وَالضُّلَالِ
 جَعَلُوا الْمِرَادَ فَتَحًا، وَأَلْفَاظَ الْحَنَّا ... شَطْحًا، وَصَالُوا صَوْلَةَ الْإِذْلَالِ
 نَبَذُوا كِتَابَ اللَّهِ خَلْفَ ظُهُورِهِمْ ... نَبَذَ الْمَسَافِرُ فَضْلَةَ الْأَكَالِ
 جَعَلُوا السَّمَاعَ مَطِيَّةَ لِهَوَاهُمُو ... غَلَوْا فَقَالُوا فِيهِ كُلَّ مُحَالِ
 هُوَ طَاعَةٌ، هُوَ قُرْبَةٌ، هُوَ سُنَّةٌ ... صَدَقُوا لِذَاكَ الشَّيْخِ ذِي الْإِضْلَالِ
 شَيْخٌ قَلِيمٌ، صَادَهُمْ بِتَحِيلٍ ... حَتَّى أَجَابُوا دَعْوَةَ الْمُحْتَالِ
 وَرَأَوْا سَمَاعَ الشَّعْرِ أَنْفَعَ لِلْقَى ... مِنْ أَوْجِهِ سَبْعَ لُحْمٍ بِتَوَالِ
 هَجَرُوا لَهُ الْقُرْآنَ وَالْأَخْبَارَ وَالْآ ... إِذْ شَهِدَتْ لَهُمْ بِضَلَالِ
 تَالَهُ مَا ظَفَرَ الْعَدُوُّ بِمَثَلِهَا ... مِنْ مِثْلِهِمْ، وَاخْبِيئَةَ الْآمَالِ
 نَصَبَ الْحِبَالِ لَهُمْ، فَلَمْ يَقْعُوا بِهَا ... فَأَتَى بِذَا الشَّرِكِ الْمَحِيطِ الْعَالِي
 فَإِذَا هُمَا وَسْطِ الْعَرِينِ مُزْقِي ال ... آثْوَابِ، وَالْأَدْيَانِ، وَالْأَحْوَالِ
 لَا يَسْمَعُونَ سِوَى الَّذِي يَهْوُونَهُ ... شُعْلًا بِهِ عَنْ سَائِرِ الْأَشْعَالِ
 وَدُعُوا إِلَى ذَاتِ الْيَمِينِ فَأَعْرَضُوا ... عَنْهَا، وَسَارَ الْقَوْمُ ذَاتَ شِمَالِ
 خَرُّوا عَلَى الْقُرْآنِ عِنْدَ سَمَاعِهِ ... صُمًّا، وَعَمِيَانًا دَوِي إِهْمَالِ
 وَإِذَا تَلَا الْقَارِي عَلَيْهِمْ سُورَةً ... فَأَطَاعَهَا، عَدُوُّهُ فِي الْأَثْقَالِ
 وَيَقُولُ قَائِلُهُمْ: أَطَلْتُ، وَلَيْسَ ذَا ... عَشْرٌ، فَخَفَّفَ، أَنْتَ دُوْ إِمْلَالِ
 هَذَا، وَكَمْ لَعُو، وَكَمْ صَحَبٍ، وَكَمْ ... ضَحِكَ بِلَا أَدَبٍ، وَلَا إِجْمَالِ
 حَتَّى إِذَا قَامَ السَّمَاعُ لَدَيْهِمْ ... خَشَعَتْ لَهُ الْأَصْوَاتُ بِالْإِجْلَالِ
 وَامْتَدَّتِ الْأَعْنَاقُ، تَسْمَعُ وَحْيِي ذَا ... لَكَ الشَّيْخُ مِنْ مُتَرَتِّمِ قَوَالِ

وَتَحَرَّكَتْ تِلْكَ الرُّؤُوسُ، وَهَزَّتْهَا ... طَرَبْتُ، وَأَشْوَاقٌ لِنَيْلٍ وَصَالٍ
فَهُنَالِكَ الْأَشْوَاقُ وَالْأَشْجَانُ وَال ... أَحْوَالُ، لَا أَهْلًا يَذِي الْأَحْوَالِ
تَاللَّهُ لَوْ كَانَتْ صِحَاةٌ أَبْصَرُوا ... ماذا دهاهم من قبيحِ فِعَالٍ
لَكِنَّمَا سُكَّرَ السَّمَاعُ أَشَدُّ مِنْ ... سُكْرِ الْمَدَامِ، وَذَا بَلَا إِشْكَالٍ
فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا لِنَفْسٍ مَرَّةً ... نَالَتْ مِنَ الْخُسْرَانِ كُلِّ مَنَالٍ
يَا أُمَّةً لَعَبْتُ بِدِينِ نَبِيِّهَا ... كِتْلَاعِبِ الصَّبِيَّانِ فِي الْأَوْحَالِ
أَشْتَمُوا أَهْلَ الْكِتَابِ بِدِينِكُمْ ... وَاللَّهُ لَنْ يَرْضُوا بِذِي الْأَفْعَالِ
كَمْ ذَا نَعِيرٍ مِنْهُمْ بِقَرِيقِكُمْ ... سِرَا وَجْهَهَا عِنْدَ كُلِّ جِدَالٍ
قَالُوا لَنَا: دِينُ عِبَادَةِ أَهْلِهِ ... هَذَا السَّمَاعُ، فَذَاكَ دِينُ مَحَالٍ
بَلْ لَا تَحْجِي شَرِيعَةً بِجَوَازِهِ ... فَسَلُوا الشَّرَائِعَ تَكْتَفُوا بِسُؤَالِ
لَوْ قَلْتُمُوا فَسْقَ، وَمَعْصِيَةً، وَتَزُّ ... يَبِينُ مِنَ الشَّيْطَانِ لِلْأَنْدَالِ
كُنَّا شَهِدْنَا أَنَّ ذَا دِينٍ أَتَى ... بِالْحَقِّ، دِينِ الرِّسْلِ، لَا بِضَلَالِ
وَاللَّهُ مِنْهُمْ قَدْ سَمِعْنَا ذَا إِلَى الْآ ... ذَانِ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ بِمَقَالِ ((.

وقول الشاعر سددته الله: **(ويلبل المدح قد قامت قيامته)** شبه الشاعر المغني في مجلس السماع بالبلبل وذلك أنَّ البلبل كثير التصويت لا يكاد يهدأ، وهو في أثناء تصويته يحرك رأسه وذنبه، وهكذا المغني في مجلس السماع يكثر من التصويت والاضطراب كما سبق.

وقوله: **(قد قامت قيامته)**. أي جاءه الأمر المهول الذي جعله يضطرب ويتزلزل من جميع أركانه كما تتزلزل الأرض عند قيام الساعة.

وقوله: **(له وللطار غوغاء ومعتك)** قال العلامة ابن منظور رحمه الله في [لسان العرب] (٨ / ٤٤٤):

((أَصْلُ الْغَوْغَاءِ الْجَرَادُ حِينَ يَخْفُ لِلطَّيْرَانِ ثُمَّ اسْتَعِيرَ لِلسَّفَلَةِ مِنَ النَّاسِ وَالْمُسْرَعِينَ إِلَى الشَّرِّ وَيجوز أن يكون من الْغَوْغَاءِ الصَّوْتِ وَالْجَلْبَةِ لِكَثْرَةِ لَعَطِهِمْ وَصِيَا حِهِمْ)).

والمعتك والعراك هو القتال.

والمعنى أنَّ المغني في مجلس السماع كالموالد وغيرها قد ارتفعت من الطار الذي يضرب عليه الأصوات المختلطة المزعجة، وكأنَّ الضارب على الطار في معركة قد حمى وطيسها واشتعل لهيبها.

وقول الشاعر: **(كلاهما مسه ضر وإجهاد)** أي كل من المنشد والطار المضروب عليه قد أصابهما جهد جهيد، وضر شديد، قد أزه الشيطان وأوقعه في الضلال البعيد، يضطرب اضطراب من به شيطان مريد، وقد زال عقله وهو يظن أنَّه رجل عاقل رشيد، وأثار من حوله بصوته الذي أشبه ما يكون بنباح الكلاب عند تهاوشها على جيف القديد، وهزّت جوارحهم اضطرابه الذي أشبه بتمرغ الحمار في الصعيد، فله كم نحيب وبكاء كبكاء الثكلى بموت الوليد، قد أغواهم

الشیطان فكلهم فی شباکه مصید، وبأغلاله مقید، وهم یحسبون أنهم أقرب الخلق إلى العزیز الحمید، ﴿وَقَالُوا ءَامَنَّا بِهِ﴾

وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاقُشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ [سبأ: ٥٢].

والله لقد صاروا عاراً على أهل الإسلام، ومسبة للمسلمین من جهة من هم أضل من الأنعام، فإذا أراد الكفار أن يطعنوا فی دین الإسلام، ویصدوا من أراد أن یدخل فیهِ من الأنعام، أظهروا نخب هؤلاء اللثام، واضطربهم وكأثم فی حظيرة أغنام، وقالوا لهم هذا هو الإسلام فإن دخلتم فیهِ فلا بد أن تنسلخوا من بشریتكم انسلاخ النهار من الظلام، وترموا بعقولكم وتدسوها تحت الأقدام، فإذا رأى ذلك الجهاال الطغام قالوا ما نحن فیهِ من الکفران من هذا الإسلام.



وسادن القبر كالعفريت منشمر على يديه تباخير وميقاد
يكلم الناس إيماء بلا لغة إشارة أنه للغيب يرتاد
ويرسل الطرف في جد وفي حذر كأنه قانص في الغاب يصطاد

الشرح

بين الشاعر في هذه الأبيات حال سادن القبر، وما هم فيه من الدجل، والإغواء لجهال الناس، وتزيين الشرك لهم

ليأكلوا أموال الناس بالباطل شأنهم كشأن من قال الله عنهم: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَجْبَارِ

وَالرَّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤].

قال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله في [اقتضاء الصراط المستقيم] (٢/ ١٥٨-١٥٩):

((فإن هؤلاء السدنة فيهم شبه من السدنة التي كانت لللات والعزى ومناة، يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله)).

وعمل هؤلاء السدنة نشر الأكاذيب على صاحب القبر ليعظم اعتقاد الجهال به حتى تكثر النذور لهم فيأكلونها.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في [إغاثة اللهفان] (١/ ٢١٥) - عند كلامه على افتتان الجاهلين بالأموات -:

((ومنها : حكايات حكيت لهم عن تلك القبور: أن فلاناً استعاث بالقبر الفلاني في شدة فخلص منها وفلانا دعاه أو دعا به في حاجة فقصيت له وفلانا نزل به ضر فاسترجى صاحب ذلك القبر فكشف ضره وعند السدنة والمقابرية من ذلك شيء كثير يطول ذكره وهم من أكذب خلق الله تعالى على الأحياء والأموات والنفوس مولعة بقضاء حوائجها وإزالة ضروراتها)).

وقول الشاعر: (وسادن القبر كالعفريت منشمر)، والسادن بمعنى الحاحب والخدام ومنه سدنة البيت، والعفريت من الجنّ: العارم الحبيث، والتشمير يأتي بمعنى الاجتهاد في الشيء، ويأتي بمعنى التقلص فيقال شمر إزاره إذا رفعه، وشمر كمه إذا قلصه.

وقوله: (يكلم الناس إيماء بلا لغة إشارة أنه للغيب يرتاد) أي أن سادن القبر لا يكلم الناس باللفظ بل يكتفي بالإشارة، وهو بهذا يوهم الجاهلين أن يرتاد أي يذهب ويحيي في الغيب فهو معهم بظاهره دون باطنه، ولعل الشاعر يشير إلى الفناء الصوفي وهو الفناء عن مشاهدة السوى أي عن مشاهدة سوى الله تعالى وهم الخلق، وأشد من هذا الفناء عن وجود السوى وهو فناء أصحاب وحدة الوجود.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في [مدارج السالكين] (١/ ١٥٤-١٥٨):

((وهذا الإسم يطلق على ثلاثة معان الفناء عن وجود السوى والفناء عن شهود السوى والفناء عن إرادة السوى

فأما الفناء عن وجود السوى فهو فناء الملاحدة القائلين بوحدة الوجود وأنه ما ثم غير وأن غاية العارفين والسالكين الفناء في الوحدة المطلقة ونفى التكثر والتعدد عن الوجود بكل اعتبار فلا يشهد غيراً أصلاً بل يشهد وجود العبد عين وجود الرب بل ليس عندهم في الحقيقة رب وعبد.

وفناء هذه الطائفة في شهود الوجود كله واحد وهو الواجب بنفسه ما ثم وجودان ممكن وواجب ولا يفرقون بين كون وجود المخلوقات بالله وبين كون وجودها هو عين وجوده وليس عندهم فرقان بين العالمين ورب العالمين ويجعلون الأمر والنهي للمحجوبين عن شهودهم وفنائهم والأمر والنهي تلبس عندهم والمحجوب عندهم يشهد أفعاله طاعات أو معاص ما دام في مقام الفرق فإذا ارتفعت درجته شهد أفعاله كلها طاعات لا معصية فيها لشهوده الحقيقة الكونية الشاملة لكل موجود فإذا ارتفعت درجته عندهم فلا طاعة ولا معصية بل ارتفعت الطاعات والمعاصي لأنها تستلزم اثنينية وتعددا وتستلزم مطيعاً ومطاعاً وعاصياً ومعصياً وهذا عندهم محض الشرك والتوحيد المحض يأباه فهذا فناء هذه الطائفة.

وأما الفناء عن شهود السوى فهو الفناء الذي يشير إليه أكثر الصوفية المتأخرين ويعدونه غاية وهو الذي بنى عليه أبو إسماعيل الأنصاري كتابه وجعله الدرجة الثالثة في كل باب من أبوابه.

وليس مرادهم فناء وجود ما سوى الله في الخارج بل فناؤه عن شهودهم وحسهم فحقيقته غيبة أحدهم عن سوى مشهوده بل غيبته أيضاً عن شهوده ونفسه لأنه يغيب بمعبوده عن عبادته وبمذكوره عن ذكره وبموجوده عن وجوده وبمحبوبه عن حبه وبمشهوده عن شهوده وقد يسمى حال مثل هذا سكرًا واصطلاحاً وخوًا وجمعاً وقد يفرقون بين معاني هذا الأسماء وقد يغلب شهود القلب بمحبوبه ومذكوره حتى يغيب به ويفنى به فيظن أنه اتحد به وامتزج بل يظن أنه هو نفسه كما يحكى أن رجلاً ألقى محبوبه نفسه في الماء فألقى الحب نفسه وراءه فقال له: مال الذي أوقعك في الماء فقال: غبت بك عني فظننت أنك أني. وهذا إذا عاد إليه عقله يعلم أنه كان غالطاً في ذلك وأنَّ الحقائق متميزة في ذاتها فالرب رب والعبد عبد والخالق بائن عن المخلوقات ليس في مخلوقاته شيء من ذاته ولا في ذاته شيء من مخلوقاته ولكن في حال السكر والخو والإصطلام والفناء قد يغيب عن هذا التمييز وفي هذه الحال قد يقول صاحبها ما يحكى عن أبي يزيد أنه قال: سبحاني، أو ما في الجبة إلا الله ونحو ذلك من الكلمات التي لو صدرت عن قائلها وعقله معه لكان كافراً ولكن مع سقوط التمييز والشعور قد يرتفع عنه قلم المؤاخدة.

وهذا الفناء يحمد منه شيء ويذم منه شيء ويعفى منه عن شيء فيحمد منه فناؤه عن حب ما سوى الله وعن خوفه ورجائه والتوكل عليه والإستعانة به والإلتفات إليه بحيث يبقى دين العبد ظاهراً وباطناً كله لله.

وأما عدم الشعور والعلم بحيث لا يفرق صاحبه بين نفسه وغيره ولا بين الرب والعبد مع اعتقاده الفرق ولا بين شهوده ومشهوده بل لا يرى السوى ولا الغير فهذا ليس بمحمود ولا هو وصف كمال ولا هو مما يرغب فيه ويؤمر به بل غاية صاحبه أن يكون معذوراً لعجزه وضعف قلبه وعقله عن احتمال التمييز والفرقان وإنزال كل ذي منزلة منزلته موافقة لداعي العلم ومقتضى الحكمة وشهود الحقائق على ما هي عليه والتمييز بين القديم والحديث والعبادة والمعبود فينزل العبادة منازلها ويشهد مراتبها ويعطي كل مرتبة منها حقها من العبودية ويشهد قيامه بها فإنَّ شهود العبد قيامه بالعبودية أكمل في

العبودية من غيبته عن ذلك فإن أداء العبودية في حال غيبة العبد عنها وعن نفسه بمنزلة أداء السكران والنائم وأداؤها في حال كمال يقظته وشعوره بتفاصيلها وقيامه بها أتم وأكمل وأقوى عبودية فتأمل حال عبيدين في خدمة سيدهما أحدهما يؤدي حقوق خدمته في حال غيبته عن نفسه وعن خدمته لإستغراقه بمشاهدة سيده والآخر يؤديها في حال كمال حضوره وتمييزه وإشعار نفسه بخدمة السيد وابتهاجا بذلك فرحاً بخدمته وسروراً والتذاذاً منه واستحضاراً لتفاصيل الخدمة ومنازلها وهو مع ذلك عامل على مراد سيده منه لا على مراده من سيده فأبي العبدین أكمل.

فالغناء حظ الفاني ومراده والعلم والشعور والتمييز والفرق وتنزيل الأشياء منازلها وجعلها في مراتبها حق الرب ومراده ولا يستوي صاحب هذه العبودية وصاحب تلك.

نعم هذا أكمل حالاً من الذي لا حضور له ولا مشاهدة بالمرّة بل هو غائب بطبعه ونفسه عن معبوده وعن عبادته وصاحب التمييز والفرقان وهو صاحب الفناء الثالث أكمل منهما فروال العقل والتمييز والغيبة عن شهود نفسه وأفعالها لا يحمد فضلاً عن أن يكون في أعلى مراتب الكمال بل يذم إذا تسبب إليه وبأشهر أسبابه وأعرض عن الأسباب التي توجب له التمييز والعقل ويعذر إذا ورد عليه ذلك بلا استدعاء بأن كان مغلوباً عليه كما يعذر النائم والمغمى عليه والمجنون والسكران الذي لا يذم على سكره كالموخر والجاهل بكون الشراب مسكراً ونحوهما.

وليس أيضاً هذه الحال بلازمة لجميع السالكين بل هي عارضة لبعضهم منهم من يتلى بها كأبي يزيد وأمثاله ومنهم من لا يتلى بها وهم أكمل وأقوى فإن الصحابة رضي الله عنهم وهم سادات العارفين وأئمة الواصلين المقربين وقادة السالكين لم يكن منهم من ابتلى بذلك مع قوة إرادتهم وكثرة منازلهم ومعانين ما لم يعاينه غيرهم ولا شم له رائحة ولم يخطر على قلبه فلو كان هذا الفناء كمالاً لكانوا هم أحق به وأهله وكان لهم منه ما لم يكن لغيرهم

ولا كان هذا أيضاً لنبينا ولا حالاً من أحواله ولهذا في ليلة المعراج لما أسرى به وعانين ما عانين مما أراه الله إياه من آياته الكبرى لم تعرض له هذه الحال بل كان كما وصفه الله عز وجل بقوله: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى (١٧) لَقَدْ رَأَى مِنْ

آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ [النجم: ١٧، ١٨] وقال: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠] وقال

ابن عباس هي رؤيا عين أريها رسول الله ليلة أسري به ومع هذا فأصبح بينهم لم يتغير عليه حاله ولم يعرض له صعب ولا غشى يخبرهم عن تفصيل ما رأى غير فان عن نفسه ولا عن شهوده ولهذا كانت حاله أكمل من حال موسى ابن عمران لما خر صعقاً حين تجلى ربه للجبل وجعله دكاً)).

❦ إلى أن قال رحمه الله (١ / ١٦٦-١٦٩):

((فصل الدرجة الثالثة من درجات الفناء فناء خواص الأولياء وأئمة المقربين وهو الفناء عن إرادة السوي شائماً برق الفناء عن إرادة ما سواه سالكاً سبيل الجمع على ما يحبه ويرضاه فانياً بمراد محبوبه منه على مراده هو من محبوبه فضلاً عن إرادة غيره قد اتحد مراده بمراد محبوبه أعني المراد الديني الأمري لا المراد الكوني القدري فصار المرادان واحداً.

وليس في العقل اتحاد صحيح إلا هذا والاتحاد في العلم والخبر فيكون المرادان والمعلوماتان والمذكوران واحداً مع تباين الإرادتين والعلمين والخبرين فغاية المحبة إتحاد مراد المحب بمراد المحبوب وفناء إرادة المحب في مراد المحبوب فهذا الإتحاد والفناء هو اتحاد خواص المحبين وفناؤهم فنوا بعبادة محبوبهم عن عبادة ما سواه وبجبه وخوفه ورجائه والتوكل عليه والإستعانة به والطلب منه عن حب ما سواه وخوفه ورجائه والتوكل عليه.

ومن تحقيق هذا الفناء أن لا يحب إلا في الله ولا يبغض إلا فيه ولا يوالي إلا فيه ولا يعادي إلا فيه ولا يعطي إلا له ولا يمنع إلا له ولا يرجو إلا إياه ولا يستعين إلا به فيكون دينه كله ظاهراً وباطناً لله ويكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما فلا يواد من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب الخلق إليه بل

يعادي الذي عادي من الناس كلهم ... جميعاً ولو كان الحبيب المصافيا

وحقيقة ذلك فناؤه عن هوى نفسه وحظوظها بمراضى ربه وحقوقه

والجامع لهذا كله تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله علماً ومعرفة وعملاً وحالاً وقصداً.

وحقيقة هذا النفي والإثبات الذي تضمنته هذه الشهادة هو الفناء والبقاء فيغنى عن تأليه ما سواه علماً وإقراراً وتعبداً ويبقى بتأليه وحده فهذا الفناء وهذا البقاء هو حقيقة التوحيد الذي عليه المرسلون وأنزلت به الكتب وخلقت لأجله الخليقة وشرعت له الشرائع وقام عليه سوق الجنة وأسس عليه الخلق والأمر.

وحقيقته أيضاً البراء والولاء البراء من عبادة غير الله والولاء لله كما قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ

وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءٌ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا

حَتَّى تُوْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾ [المتحنة: ٤]، وقال: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي

فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدُنِي﴾ [الزخرف: ٢٦، ٢٧]، وقال أيضاً: ﴿يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ

لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٨، ٧٩] وقال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه

وسلم: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الكافرون: ١، ٢] إلى آخرها وهذه براءة منهم ومن معبودهم

وسماها براءة من الشرك.

وهي حقيقة المحو والإثبات فيمحو محبة ما سوى الله عز وجل من قلبه علماً وقصداً وعبادة كما هي ممحوة من الوجود ويثبت فيه إلهيته سبحانه وحده.

وهي حقيقة الجمع والفرق فيفرق بين الإله الحق وبين من ادعيت له الإلهية بالباطل ويجمع تأليهه وعبادته وجبه وخوفه ورجاءه وتوكله واستعانتة على إله الحق الذي لا إله سواه.

وهي حقيقة التجريد والتفريد فيتجرد عن عبادة ما سواه ويفرده وحده بالعبادة فالتجريد نفي والتفريد إثبات ومجموعهما هو التوحيد.

فهذا الفناء والبقاء والولاء والبراء والمحو والإثبات والجمع والتجريد والتفريد المتعلق بتوحيد الإلهية هو النافع المثمر المنجي الذي به تنال السعادة والفلاح.

وأما تعلقه بتوحيد الربوبية الذي أقر به المشركون عباد الأصنام فغاياته فناء في تحقيق توحيد مشترك بين المؤمنين والكفار وأولياء الله وأعدائه لا يصير به وحده الرجل مسلماً فضلاً عن كونه عارفاً محققاً. وهذا الموضع مما غلط فيه كثير من أكابر الشيوخ وأصحاب الإرادة ممن غلط حجابهم والمعصوم من عصمه الله وبالله المستعان والتوفيق والعصمة)).

وقول الشاعر سده الله: **(ويرسل الطرف في جد وفي حذر كأنه قانص في الغاب يصطاد)** أي أن سادن القبر يرسل بصره **(في جد)** الجدل ضد الهزل **(وفي حذر)** الحذر الخيفة والتحرز، **(كأنه قانص)** القانص الصائد **(في الغاب يصطاد)** الغاب جمع غابة.

وأراد الشاعر في وصف السادن في هذه البيت السخرية بحاله.



**وللمجاذيب صولات وعريدة لدى السماع وإبراق وإرعاد
كذا نحيب وصيحات مدوية كأنما القوم أنمار وأفهاد**

الشرح

بينَّ الشاعر في هاتين البيتين حال أهل السماع في سماعهم، وأنَّهم خرجوا عن طور البشرية في أصواتهم وأفعالهم، فتارة ينبحون نباح الكلاب، وتارة يصولون ويصيحون كما تصنع الفهود والنمور، وتارة يدورون كما تدور الحمير حول الرحا.

وقوله: **(وللمجاذيب)**، قد أحسن **العلامة سليمان بن عبد الله** رحمه الله في تعريفهم حيث قال في **[تيسير العزيز**

الحميد] (ص: ٢٤٨): ((الذين جذبهم إبليس إلى جانبه وطاعته)).

ومرادهم بالمجذوب من جذبه رب العالمين إليه فيما يزعمون والجذبة حالة نفسية يَفْقِدُ بها المجذوب إحساسه بما حوله وبالواقع، وإذا وصل أحدهم إلى الجذبة فإنَّه يصبح ولياً، فكلمة الولي تعني أنَّه وصل إلى الجذبة، وهذه هي الهدف الأسمى الذي يسعون إليه، ويتوهمون أنَّ الله سبحانه يجذبهم بها إليه.

وخلاصة القول أنَّه نوع من الجنون، والواحد من هؤلاء ربما ينخلع من ثبابه ويبقى عرياناً في أوساط الناس، وربما يبت في المزابل.

وقوله: **(صولات)** أي سطوات ووثبات.

وقوله: **(وعريدة)** العَرَبْدَةُ سوء الخلق ورجل مُعَرَّبٌ بكسر الباء يؤذي نديمه في سكره.

قلت: وهؤلاء المجاذيب تحصل منهم الأفعال المنكرة المؤذية في حال سكر السماع الذي هو أشد من سكر الخمر.

(وإبراق وإرعاد) أصل الرعد والبرق يكون في السحاب، ويستعمل ذلك في غير السحاب ويراد به التهديد والتوعد والتخويف فيقال: أرعد فلان وأبرق إذا تهدد وتوعد.

وقوله: **(كذا نحيب)** النحيب البكاء.

وقوله: **(وصيحات مدوية)** أي لها دوران في السماء، يقال دَوَّمَ الطائر في السماء إذا جعل يَدُور.

وقوله: **(أنمار وأفهاد)** الأنمار جمع نمر ويجمع أيضاً على ثَمُور وثمر، والأفهاد يريد الشاعر جمع فهد، والصواب أنَّه يجمع على فُهودٍ وأفْهُدٍ. وإنَّما جمعه الشاعر على أفهاد من أجل القافية.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في **[إغاثة اللهفان]** (١/ ٢٢٤-٢٢٦) واصفاً حال هؤلاء الذين تلاعب بهم

الشیطان في مجلس السماع المحدث:

((فصل:

ومن مكاييد عدو الله ومصايدِهِ، التي كاد بها من قل نصيبه من العلم والعقل والدين، وصاد بها قلوب الجاهلين والمبطلين، سماع المكاء، والتصديّة، والغناء بالآلات المحرمة، الذي يصد القلوب عن القرآن، ويجعلها عاكفة على الفسوق والعصيان، فهو قرآن الشيطان، والحجاب الكثيف عن الرحمن، وهو رقية اللواط والزنا، وبه ينال العاشق الفاسق من معشوقة غاية المنى، كاد به الشيطان النفوس المبطلّة، وحسنه لها مكرراً منه وغروراً، وأوحى إليها الشبه الباطلة على حسنه فقبلت وحيه

واتخذت لأجله القرآن مهجوراً، فلو رأيتهم عند ذيك السماع وقد خشعت منهم الأصوات، وهدأت منهم الحركات، وعكفت قلوبهم بكليتها عليه، وانصبت انصبابة واحدة إليه، فتمايلوا له ولا كتمايل النشوان، وتكسروا في حركاتهم ورقصهم، أرايت تكسر المخانيث والنسوان؟ **ويحق لهم ذلك، وقد خالط خمارة النفوس، ففعل فيها أعظم ما تفعله حُمَيِّه الكؤوس،** فلغير الله، بل الشيطان، قلوب هناك تمزق، وأثواب تشقق، وأموال في غير طاعة الله تنفق، حتى إذا عمل **السكر** فيهم عمله، وبلغ الشيطان منهم أمنيته وأمله، واستفزه بصوته وحيله، وأجلب عليهم برجله وخيله، وخز في صدورهم وخزاً، وأزهم إلى ضرب الأرض بالأقدام أزا، فطوراً يجعلهم كالحمير حول المدار، وتارة كالذباب ترقص وسيط الديار. فيا رحمتا للسقوف والأرض من دك تلك الأقدام، ويا سوأتا من أشباه الحمير والأنعام، ويا شماتة أعداء الإسلام، بالذين يزعمون أنهم خواص الإسلام قضوا حياتهم لذة وطرباً، واتخذوا دينهم لهواً ولعباً، مزامير الشيطان أحب إليهم من استماع سور القرآن، لو سمع أحدهم القرآن من أوله إلى آخره لما حرك له ساكناً، ولا أزعج له قاطنا، ولا أثار فيه وجداً، ولا قدح فيه من لواعج الشوق إلى الله زنداً، حتى إذا تلى عليه قرآن الشيطان، وولج مزمر سمعه، تفجرت ينابيع الوجد من قلبه على عينه فجرت، وعلى أقدامه فرقصت، وعلى يديه فصفقت، وعلى سائر أعضائه فاهترت وطربت، وعلى أنفاسه فتصاعدت، وعلى زفراته فتزايدت، وعلى نيران أشواقه فاشتعلت، فيا أيها الفاتن المفتون، والبائع حظه من الله بنصيبه من الشيطان صفقة خاسر مغبون، هلا كانت هذه الأشجان، عند سماع القرآن؟ وهذه الأذواق والمواجيد، عند قراءة القرآن المجيد؟ وهذه الأحوال السنيات، عند تلاوة السور والآيات؟ ولكن كل امرئ يصبو إلى ما يناسبه، ويميل إلى ما يشاكره، والجنسية علة الضم قدراً وشرعاً، والمشاكلة سبب الميل عقلاً وطبعاً، فمن هذا أين الإخاء والنسب؟ لولا التعلق من الشيطان بأقوى سبب، ومن أين هذه المصالحات التي أوقعت في عقد الإيمان وعهد الرحمن خلافاً؟

﴿**اتَّخِذُوْنَهُ وَذُرِيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِسِّ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا**﴾ [الكهف: ٥٠] .

ولقد أحسن القائل:

تلى الكتاب، فأطرقوا، لا خيفة ... لكِنَّهُ إِطْرَاقُ سَاهٍ لَاهِي
وَأَتَى الْغِنَاءُ، فكالحمير تناهفوا ... وَاللَّهِ مَا رَقَصُوا لِأَجْلِ اللَّهِ
دُفٍ وَمِزْمَارٍ، وَنَعْمَةُ شَاذِنٍ ... فَمَتَى رَأَيْتَ عِبَادَةً بِمِلاهي؟
ثَقُلَ الْكِتَابُ عَلَيْهِمْ لَمَّا رَأَوْا ... تَقْيِيدُهُ بِأَوَامِرٍ وَنَوَاهِي
سَمِعُوا لَهُ رَعْدًا وَبَرْقًا، إِذْ حَوَى ... زَجْرًا وَتَحْوِيْفًا مَنَاهِي
وَرَأَوْهُ أَعْظَمَ قَاطِعٍ لِلنَّفْسِ عَنْ ... شَهْوَاهَا، ياذبحها المَنَاهِي
وَأَتَى السَّمَاءُ مُوَافِقًا عَرَضَهَا ... فَلَأَجَلَ ذَاكَ عَدَا عَظِيمُ الْجَاهِ
أَيْنَ الْمَسَاعِدُ لِلْهَوَى مِنْ قَاطِعٍ ... أَسْبَابُهُ، عِنْدَ الْجَهْلِ السَّاهِي؟
إِنْ لَمْ يَكُنْ خَمَرُ الْجُسُومِ، فَإِنَّهُ ... خَمَرُ الْعُقُولِ مُثَائِلٌ وَمُضَاهِي
فَانْظُرْ إِلَى النَّشْوَانِ عِنْدَ شَرَابِهِ ... وَانْظُرْ إِلَى النَّسْوَانِ عِنْدَ مَلاهي

وانظرُ إلى تمزيقِ ذَا أَثْوَابِهِ ... مِنْ بَعْدِ تمزيقِ المُؤَادِ الِلاهِي
واحكم فأَيَّ الخمرتين أحق بالتحريم، والتأثيم عند الله؟



وزائر القبر هذا بالإدام أتى وذاك قد جاء للقربان يقتاد
كل إلى القبر قد أهوى يقبله كأنما هم مع ليلى وهناد
ما شأن قبر حوى جسماً بداخله قد رمّ فيه له دهر وآماد
ما باله قد غدا حياً ومقتدراً يقول للشيء كن عدم وإيجاد

الشرح

ذكر الشاعر في هذه الأبيات ما يفعله عباد القبور المفتونون بالأموات من ترحيم للميت بالإدام، والذبائح كما يفعله

المشركون من أصنامهم، والميت لا يشعر بهم ولا ينتفع بما يفعلون كما قال الله تعالى: ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ

أَيَّانَ يُعْعَثُونَ ﴿٨﴾﴾ [النحل: ٢١].

وإذا وصل أحدهم إلى القبر أهوى بتقبيله كما يفعل العاشق مع معشوقته.

ثم تعجب الشاعر من عقول هؤلاء القوم الذين يتعلقون بميت قد تغير بدنه وصار رفاتاً كيف غدا في عقول هؤلاء حياً مقتدراً يقول للشيء كن فيكون من الخلق والإيجاد، أو الفناء والإعدام.

وحق لكل عاقل أن يتعجب من هؤلاء القوم الذين ذهبت عقولهم، وهم يعترفون يوم القيامة بأنهم كانوا لا يعقلون كما

قال الله تعالى عنهم: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾﴾ [الملك: ١٠].

ويعترفون بضلالهم كما قال الله تعالى عنهم: ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٧﴾ إِذْ تُسَوِّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨﴾﴾

[الشعراء: ٩٧ - ٩٨].

وقول الشاعر: (وزائر القبر هذا بالإدام أتى) الإدام ما يؤتدّم به مع الخبز.

وقوله: (وذاك قد جاء للقربان يقتاد) القربان ما يتقرب به من بهيمة الأنعام وغيرها، ويقتاد بمعنى يقود.

وهذا هو عين الشرك الأكبر المخرج عن ملة الإسلام.

والله عز وجل يقول: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴿٢﴾﴾ [الكوثر: ٢].

ويقول: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ. وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ

﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣].

وروى البخاري (٥٤٧٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((لَا فَرْعَ، وَلَا عَتِيرَةَ)) وَالْفَرْعُ أَوَّلُ النَّتَاجِ كَانُوا يَذْبَحُونَهُ لَطَوَاعِيَتِهِمْ وَالْعَتِيرَةُ فِي رَجَبٍ.

وروى مسلم (١٩٧٨) عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ عَامِرِ بْنِ وَائِلَةَ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ مَا كَانَ

النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسِرُّ إِلَيْكَ قَالَ فَعَضِبَ وَقَالَ مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسِرُّ إِلَيَّ شَيْئًا يَكْتُمُهُ النَّاسُ غَيْرَ

أَنَّهُ قَدْ حَدَّثَنِي بِكَلِمَاتٍ أَرْبَعٍ قَالَ فَقَالَ مَا هُنَّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ: قَالَ: ((لَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَهُ وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ

لِغَيْرِ اللَّهِ وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ آوَى مُحَدَّثًا وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ))

وقوله: (كل إلى القبر قد أهوى يقبله كأنما هم مع ليلي وهناد)

أقول: لا يشرع التقبيل على وجه العبادة إلا للحجر الأسود، ومع هذا لا يشرع اعتقاد الضر والنفع فيه. وقد روى البخاري (١٥٩٧) عَنْ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ جَاءَ إِلَى الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ فَقَبَّلَهُ فَقَالَ: ((إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لَا تَضُرُّ، وَلَا تَنْفَعُ وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ)).

وليلي في بيت الشاعر هي بنت مهدي العامرية، وهناد لم أعرفها، ولعل الشاعر ذكرها من أجل توافق القوافي.

وقوله: (ما شأن قبر حوى جسماً بداخله قد رمّ فيه له دهر وآماد) أي ما أمر، والشأن بمعنى الأمر (قبرى حوى) أي قبر جمع (جسماً) أي جسداً (قد رمّ) أي قد صار رميماً أي رفاتاً (دهر وآماد) أي مرت عليه الأزمان الطويلة، والأمد منتهى الأجل، فمن كان كذلك فلا يملك لنفسه شيئاً فكيف يملك النفع والضر لغيره غير أن المشركين لا يعقلون.

وقوله: (ما باله قد غدا حياً ومقتدراً يقول للشيء كن عدم وإيجاد) هذا والله من أعجب العجب كيف يغدو الميت قادراً على ما لا يقدر عليه في حياته وقد صار تحت طبقات الثرى رميماً لم يستطع أن يدفع عن جسده الدود ولا قدر بعد موته أن يعود، بل هو مساق إلى ربه وما كثر في اللحد إلى أجل معدود، وهو رهين عمله وبه مقود، إمّا إلى النار أو إلى جنة الخلود.

فيا من علق قلبه بالأموات أمّا ترعوى عن هذه التعلقات، ألا علق قلبك بخالق الأرض والسموات. ويا من يستغيث بأصحاب القبور ويتجه إليهم عند اشتداد الأمور، سيتبين لك إذا حشرجت الصدور، وسكنت القبور بعد القصور أنك ما كنت إلا في غرور.

ويا من يعتقد قدرة الأموات على كل أمر غير مقدور، ويا من ينذر لهم النذور، ويطوف بالقبور، ويبيني عليها القباب ويزينها بالسور، ويجمرها بأنواع البخور ستعلم بطلان ما أنت عليه إذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور وكان إلى ربك النشور.



**أليس للناس ميزان بفطرتهم ولا عقول بها وعي وإرشاد
والطين والصخر والحصباء حاضرة والعقل والسمع والأبصار أشهاد**

الشرح

تعجب الشاعر في هذه البيت من حال عباد القبور أين ذهبت فطرتهم، وأين ذهبت عقولهم فصارت عقولهم لا تعي ما يصلحها وما يضرها في دينها، ولا ترشدهم إلى الخير، وإنما أتوا من جهة أنفسهم لأنهم تركوا الهدى من أول الأمر

والله يقول: ﴿وَقَلِّبْ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرَهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝﴾ [الأنعام: ١١٠].

ولما زاغوا عن الحق أزاع الله قلوبهم كما قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ۝﴾ [الصف: ٥].

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ۝﴾ [مریم: ٧٥].

وهؤلاء المشركون غير الشيطان فطرتهم، وهكذا غير أبائهم المشركون فطرتهم.

فقد روى مسلم (٢٨٦٥) عَنْ عِيَّاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: ((أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي خُنَفَاءَ كُلَّهُمْ وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ وَحَرَمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَلْتُ لَهُمْ وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا)) . الحديث.

وروى البخاري (١٣٥٨)، ومسلم (٢٦٥٨) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كَانَ يُحَدِّثُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجَّسَانِهِ كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بِهِيمَةٍ جَمْعَاءَ هَلْ تُحْسِنُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ)) .

وإذا أردت أن تعرف مدى سفه المشركين وضعف عقولهم فتأمل ما ذكره الله تعالى في قصة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام مع قومه.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَلَىٰ ۝٥١ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلَ الَّتِي أَنْتُمْ عَاجِبُونَ ۝٥٢ قَالُوا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا لَهَا عِيدِينَ ۝٥٣ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝٥٤ قَالُوا أَجِئْنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ ۝٥٥ قَالَ بَلْ زَيْكُمُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَكُمْ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ۝٥٦ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْرِينَ ۝٥٧ فَجَعَلَهُمْ جُذَاً إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ۝٥٨ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَٰذَا بِإِلَهِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ۝٥٩ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ

﴿٩٠﴾ قَالُوا فَاتُوا بِهِ عَلَىٰ عَيْنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٩١﴾ قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِطَالِهَتِنَا يَا ابْنِ الْهَيْمِ ﴿٩٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاشْتَرَوْهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٩٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ نَكَسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٩٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٩٦﴾ أَفِي لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٩٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٩٨﴾ قُلْنَا يَبْنَازُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٩٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَخْسَرِينَ ﴿١٠٠﴾ ﴿[الأنبياء: ٥١ - ٧٠].

﴿١٠١﴾ وقال الله تعالى: ﴿وَأَنْتَ عَلَيْهِمْ نَبَأُ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَّلُهَا عَنكِفِينَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٦٤﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٦٥﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٦٦﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٦٧﴾ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٦٨﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٩﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٠﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧١﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٧٢﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٧٣﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٧٤﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْخِفَافِ بِالصَّغِيرِ ﴿٧٥﴾﴾ [الشعراء: ٦٩ - ٨٣].

﴿٨٤﴾ ثم وعظ الشاعر عباد القبور بأن سمعهم وأبصارهم سوف تشهد عليهم، وهكذا الأرض وما فيها سوف تشهد عليهم فقال: (والطين والصخر والحصباء حاضرة والعقل والسمع والأبصار أشهاد).

﴿٨٥﴾ وبرهان ذلك من كتاب الله تعالى قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَ يُؤْفِكُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾ [النور: ٢٤ - ٢٥].

﴿٢٦﴾ وقال الله تعالى: ﴿حَقَّ إِذَا مَا جَاءَهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٦﴾ وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لَمْ شَهِدْ ثُمَّ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلَئِنْ تَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَإِنْ يَصِيرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت: ٢٠ - ٢٤].

﴿٣١﴾ وقال الله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا هَٰذَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُخْبِرُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾﴾ [الزلزلة: ١ - ٥].

❦ وروى مسلم (٢٩٦٩) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: ((كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَصَحَّحَكَ فَقَالَ: "هَلْ تَذَرُونَ مِمَّ أَصْحَكُ" قَالَ: قُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: "مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ يَقُولُ يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلَمِ قَالَ: يَقُولُ: بَلَى. قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي لَا أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي قَالَ فَيَقُولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا وَبِالْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا قَالَ فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ: انْطَقِي قَالَ فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ قَالَ ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ قَالَ فَيَقُولُ بَعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أَنَا ضِلٌّ" ((.



كأنما القوم في الأموات قد حشروا فهم يعيشون في الدنيا وقد بادوا
فحالة الحي والمقبور واحدة فهم سواء وأشبه وأضداد
كلاهما ميت لا فرق بينهما جسم رماد وجسم صار مرباد
هذا ترى قبره جسم يعيش به وذا ترى قبره في القبر إحداد

الشرح

ما زال الشاعر يتعجب من حال المشركين الذين علقوا قلوبهم بميت لا يملك لنفسه شيئاً فكيف يملك ذلك لغيره، وشبه حالهم بالأموات، فالمشركون ماتت قلوبهم، والأموات ماتت أجسادهم، وموت القلوب أشد من موت الأبدان فإنَّ ميت الأبدان إن كان حي القلب فإنَّه يفيق في النعيم المقيم، وميت القلب يفيق في الجحيم والعذاب الأليم.

وقد وصف الله تعالى المشركين والكافرين بالموت فقال سبحانه وتعالى: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام: ١٢٢].

وقال: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [فاطر: ٢٢].
 وقول الشاعر: (كأنما القوم في الأموات قد حشروا فهم يعيشون في الدنيا وقد بادوا) تشبيه منه للمشركين بالأموات الذين (قد حشروا) أي جمعوا، فإن أراد الشاعر أنهم جمعوا في جملة الأموات فإنَّ المعنى يستقيم، وإن أراد بعثوا إلى أرض المحشر فلا يستقيم المعنى فإنَّهم حينئذ أحياء وليسوا بأموات، والأظهر المعنى الأول.
 (فهم يعيشون في الدنيا وقد بادوا) أي بأجسادهم وأما قلوبهم فقد بادت ذهبت وانقطعت وفنيت وماتت فصار أجسادهم قبوراً لقلوبهم وأرواحهم.

وقول الشاعر: (فحالة الحي والمقبور واحدة فهم سواء وأشبه وأضداد) أي أنَّ المشركين الأحياء بأجسادهم حالهم وحال الأموات في القبور واحدة من حيث الاشتراك بالموت فأولئك ماتت أجسادهم فلا يسمعون الأحياء ولا يعقلون كلامهم، وهؤلاء ماتت قلوبهم فلا يسمعون ولا يعقلون.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [النمل: ٨٠].

وقال: ﴿فَإِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [الروم: ٥٢].

(فهم سواء وأشبه وأضداد) هم سواء بالموت وعدم السمع والكلام والعقل، ويشبه بعضهم بعضاً في ذلك (وأضداد) الضد هو المخالف، وهم مع ذلك بينهم اختلاف من جهة أنَّ أولئك ماتت أجسادهم، وهؤلاء ماتت قلوبهم، وموت القلوب أشد من موت الأبدان وهم بهذا الاعتبار قد صاروا أضداداً.

وقول الشاعر: (هذا ترى قبره جسم يعيش به وذا ترى قبره في القبر إحداد) أي أنَّ المشركين قد مات قلوبهم وقبرت في أجسادهم فأجسادهم صارت قبوراً لهم، وهم معذبون في هذه القبور قبل أن ينتقلوا إلى الحياة البرزخية

❦ كما قال الله تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ (٥٥) ﴿[التوبة: ٥٥].

❦ وفي الآية الأخرى: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ (٨٥) ﴿[التوبة: ٨٥].

❦ قال العلامة ابن القيم رحمه الله في [إغاثة اللهفان] (١/ ٣٦-٣٧):

((والصواب، والله أعلم، أن يقال: تعذيبهم بها هو الأمر المشاهد من تعذيب طلاب الدنيا ومحبيها ومؤثريها على الآخرة: بالحرص على تحصيلها، والتعب العظيم في جمعها ومقاساة أنواع المشاق في ذلك، فلا تجد أتعب ممن الدنيا أكبر همه، وهو حريص بجهدده على تحصيلها. والعذاب هنا هو الألم والمشقة والتعب، كقوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ الْعَذَابِ" وقوله: "إِنَّ الْمَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ".

أى يتألم ويتوجع، لا أنه يعاقب بأعمالهم، وهكذا من كانت الدنيا كل همه أو أكبر همه كما قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في الحديث الذى رواه الترمذي وغيره من حديث أنس رضى الله عنه: "مَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ. وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ".

ومن أبلغ العذاب في الدنيا: تشتيت الشمل وتفرق القلوب، وكون الفقر نصب عيني العبد لا يفارقه، ولولا سكرة عشاق الدنيا بحبها لاستغاثوا من هذا العذاب، على أن أكثرهم لا يزال يشكو أو يصرخ منه.

وفي الترمذي أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: "يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ابْنِ آدَمَ، تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلاً صَدْرَكَ غِنًى، وَأَسَدَّ فَقْرَكَ، وَإِنْ لَا تَفْعَلْ مَلَأْتُ يَدَيْكَ شُغْلاً، وَلَمْ أَسُدَّ فَقْرَكَ".

وهذا أيضاً من أنواع العذاب، وهو اشتغال القلب والبدن بتحمل أنكاد الدنيا ومحاربة أهلها إياه، ومقاساة معاداتهم، كما قال بعض السلف: من أحب الدنيا فليوطن نفسه على تحمل المصائب. ومحب الدنيا لا ينفك من ثلاث: هم لازم، وتعب دائم، وحسرة لا تنقضى، وذلك أن محبها لا ينال منها شيئاً إلا طمحت نفسه إلى ما فوقه، كما في الحديث الصحيح عن النبي عليه الصلاة والسلام: "لَوْ كَانَ لابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لَا بُتْغَى لِهَمَا ثَالِثاً".

وقد مثل عيسى ابن مريم عليه السلام محب الدنيا بشارب الخمر، كلما ازداد شرباً ازداد عطشاً ((.

❦ (وذا ترى قبره في القبر إحداد) أى أن من مات جسده فإن قبره أخدود في الأرض أي حفرة مستطيلة، وقوله: (إحداد) صوابها أخدود وجمعه أخاديد، لكن الشاعر حرّف الكلمة حتى تتناسب القوافي.



يا عابد القبر تب فالله ليس له في الخلق والأمر والتدبير أنداد
ووجد الله واعبدته على رشد وكن لسنة خير الخلق منقاد

الشرح

هذا نداء من الشاعر لعباد المقابر الذين أجهدوا أنفسهم في الأزمان الغواير وضل سعيهم كما ضل سعي كل غوي

خاسر: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۝ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝﴾ [الكهف: ١٠٣ - ١٠٤].

وهي نصيحة ذهبية لهذه الطائفة الغوية بأن تفرد ربها بالألوهية والربوبية.

يقول الشاعر: (يا عابد القبر تب فالله ليس له في الخلق والأمر والتدبير أنداد) أي أن الله تعالى لا شريك له في الخلق والأمر والتدبير، وهكذا لا شريك له في الملك.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ أَيْلَ النَّهَارِ يَطْلُبُهُ حَيْثُ شَاءَ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝﴾ [الأعراف: ٥٤].

وقال: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۖ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝﴾ [يونس: ٣١ - ٣٢]. والآيات في ذلك كثيرة.

وقول الشاعر: (ووجد الله واعبدته على رشد) أي أفرد الله تعالى بألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، واعبد ربك (على رشد) الرشد الاستقامة على الطريق الحق فالعبادة المقبولة ما كانت على الرشد وهي الموافقة للكتاب والسنة وما سوى ذلك فمردود على صاحبه.

وقول الشاعر: (وكن لسنة خير الخلق منقاد) أي كن خاضعاً لسنة خير الخلق وهو نبينا محمد عليه الصلاة والسلام فإن لك بذلك الخير والهداية والسعادة في الدارين.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ ۚ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ۝﴾ [النور: ٥٤]. ﴿قُلْ إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ

لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝﴾ [آل عمران: ٣١ - ٣٢].

وقال: ﴿وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾
 (١٥٦) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ
 بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ
 وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ
 الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ [الأعراف: ١٥٦ - ١٥٧].

وروى البخاري (٧٢٨٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (("كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا
 مَنْ أَبِي " قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَأْبَى قَالَ: "مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى ")) .



فالشرك بالله ظلم كله ظلم وللشياطين جماع وحشاد
وصاحب الشرك إنسان معيشتة ضنكاً وللشزر زراع وحصاد
وفي القيامة في سجين مقعده له من النار أغلال وأصفاد
إني نصحتك فاقبل ما نصحت به إن كان يجدي بك نصح وإرشاد

الشرح

ختم الشاعر قصيدته ببيان قبح الشرك وسوء عاقبة أهله.

فقال: (فالشرك بالله ظلم) نعم هو ظلم بل أظلم الظلم كما قال الله تعالى عن لقمان الحكيم في موعظته لابنه:

﴿يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

وقال: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمَنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

وإذا أردت أن تعرف قبح الشرك فانظر إلى ما رواه أحمد (١٧٣٠٢)، والترمذي (٢٨٦٣) عَنِ الْحَارِثِ الْأَشْعَرِيِّ، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ يَحْيَىٰ بْنَ زَكْرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهَا وَيَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا، وَإِنَّهُ كَادَ أَنْ يُبْطِئَ بِهَا، فَقَالَ عِيسَى: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَكَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ لِتَعْمَلَ بِهَا وَتَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا، فَإِمَّا أَنْ تَأْمُرَهُمْ، وَإِمَّا أَنَا آمُرُهُمْ، فَقَالَ يَحْيَى: أَخْشَىٰ إِنْ سَبَقْتَنِي بِهَا أَنْ يُخَسَفَ بِي أَوْ أُعَذَّبَ، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَأَمْتَلَأَ الْمَسْجِدَ وَقَعَدُوا عَلَى الشَّرَفِ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ، وَأَمُرُكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ: أَوَّلُهُنَّ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَإِنْ مَثَلٌ مَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْدًا مِنْ خَالِصِ مَالِهِ بِذَهَبٍ أَوْ وَرَقٍ، فَقَالَ: هَذِهِ دَارِي وَهَذَا عَمَلِي فَأَعْمَلْ وَأَدِّ إِلَيَّ، فَكَانَ يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي إِلَى غَيْرِ سَيِّدِهِ، فَأَيُّكُمْ يَرْضَىٰ أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ؟)) الحديث.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في [الوابل الصيب] (ص: ١٩):

((فذكر مثل الموحد والمشرِك: فالموحد كمن عمل لسيدته في داره وأدى لسيدته ما استعمله فيه، والمشرِك كمن استعمله سيده في داره فكان يعمل ويؤدي خراجة وعمله إلى غير سيده فهكذا المشرِك يعمل لغير الله تعالى في دار الله تعالى ويتقرب إلى عدو الله بنعم الله تعالى، ومعلوم أن العبد من بني آدم لو كان مملوكه كذلك لكان أمقت المماليك عنده وكان أشد شيناً غضباً عليه وطرذاً له وإبعاداً وهو مخلوق مثله كلاهما في نعمة غيرهما فكيف برب العالمين الذي ما بالعبد من نعمة فمنه وحده لا شريك له ولا يأتي بالحسنات إلا هو ولا يصرف السيئات إلا هو وهو وحده المنفرد بخلق عبده ورحمته وتديبه ورزقه ومعافاته وقضاء حوائجه فكيف يليق به مع هذا أن يعدل به غيره في الحب والخوف والرجاء والحلف والنذر والمعاملة فيحب غيره كما يحبه أو أكثر ويخاف غيره ويرجوه كما يخافه أو أكثر وشواهد أحوالهم . بل وأقوالهم وأعمالهم . ناطقة بأنهم يحبون أنداده من الأحياء والأموات ويخافونهم ويرجونهم ويطلبون رضائهم ويهرون من سخطهم أعظم مما يحبون الله تعالى ويخافون ويهرون من سخطه وهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله عز وجل قال الله سبحانه وتعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وقول الشاعر: (كله ظلم) الأمر كما ذكر الشاعر فالشرك ظلمات بعضها فوق بعض كما قال الله تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَكَدُهُ لَمْ يَكْدِرْهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِّنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد: ١٦].

وقول الشاعر: (وللشياطين جماع وحشاد) أي أن الشرك يجمع ويحشد الشياطين والحشد هو الجمع، وذلك أنه مرتعهم والوخيم فهم يأنسون به ويجبون أهله، وأهله هم أولياؤهم.

قال الله تعالى: ﴿هَلْ أَتَيْتُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٣٣﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٣٤﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْتَرَهُمْ كَذِبُوتٌ﴾ [الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٣].

وقال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تُوْزِعُهُمْ أَزًّا﴾ [مريم: ٨٣].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفِضَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَقَّ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَتَسَّ الْقَرِينُ ﴿٣٨﴾﴾ [الزحرف: ٣٦ - ٣٨].

وقال الله تعالى: ﴿وَقِيضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرِ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْغَيِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ [فصلت: ٢٥].

وقول الشاعر: (وصاحب الشرك إنسان معيشته ضنكا)، وذلك لإعراضه عن أعظم ما ذكر به وهو توحيد الله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴿١٢٥﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٦﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيْنَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴿١٢٧﴾ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴿١٢٧﴾﴾ [طه: ١٢٤ - ١٢٧].

وقوله: (وللشر زراع وحصاد) أي أنه ينزع في دنياه شرًّا ويحصد في أخراه شرًّا فإن من يزرع الشوك لا يحصد العنب، وأعظم ما يحصده من الشر سخط الله.

وقول الشاعر: (وفي القيامة في سجين مقعده له من النار أغلال وأصفاد). سجين فعيل من السَّجن، وهو الضيق.

قال الله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَا أَذْرَكَ مَا سَحِينٌ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْكَذِبِينَ ﴿١٠﴾﴾ [المطففين: ٧ - ١٠].

وقال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي لِي سَرِيرٌ أَتَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: ٧٢].

وقول الشاعر: (له من النار أغلال وأصفاد) الأغلال: جمع غلّ، وهو طوق تشد به اليد إلى العنق.

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُكُمْ أَيْدَا كُنَّا تَرْبَا لِيَا لَيْ خَلْقِي جَدِيدٌ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥﴾﴾ [الرعد: ٥].

وقال: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ الْإِيلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [سبأ: ٣٣].

وقال: ﴿إِذَا الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَنْتُمْ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَلِكَ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فِئْتَسْ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [غافر: ٧١ - ٧٦].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ﴿٨﴾﴾ [يس: ٨].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في [تفسيره] (٦/ ٥٦٣-٥٦٤):

((يقول تعالى: إنا جعلنا هؤلاء المحتوم عليهم بالشقاء نسبتهم إلى الوصول إلى الهدى كنسبة من جعل في عنقه غل، فجمع يديه مع عنقه تحت ذقنه، فارتفع رأسه، فصار مقمحا؛ ولهذا قال: ﴿فَهُمْ مُقْمَحُونَ﴾ والمقمح: هو الرافع رأسه، كما قالت أم زرع في كلامها: "وأشرب فأتقمح" أي: أشرب فأروى، وأرفع رأسي تهنيتا وترؤيا)).

وقوله: (وأصفاد) الأصفاد جمع صفد وهي الأغلال والقيود.

﴿ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿٤٩﴾ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٥٠﴾ سَرَابِئُهُمْ مِنْ فِطْرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمْ

النَّارُ ﴿٥١﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥٢﴾ [إبراهيم: ٤٩ - ٥١].

وختم الشاعر قصيدته الماتعة بقوله: (إني نصحتك فاقبل ما نصحت به إن كان يجدي بك نصح وإرشاد) وقد

نصح الشاعر وأبلغ في النصائح، وحذر من الشرك الذي هو أعظم القبائح، لكن لا ينتفع بالنصح من أعمى الله قلبه،

وأغشى بصره، وأصم أذنه: ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِيْ أَكْثَثٍ مِّمَّا نَدْعُونَ إِلَيْهِ وَفِيْ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ

فَاعْمَلْ إِنَّا عَمِلُونَا ﴿٥٥﴾ [فصلت: ٥].

وقال الله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشًوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ

مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ [الحاثية: ٢٣].

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ

وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ [الأنفال: ٢٢ - ٢٣].

والحمد لله رب العالمين إله الأولين والآخرين مالك يوم الدين.

قال كاتبه/ أبو بكر بن عبده بن عبد الله بن حامد الحمادي: هذا آخر ما أردت كتابته من هذا الشرح على هذه

القصيدة النافعة المباركة، وأسأل الله تعالى أن ينفع بهذه القصيدة ويشرحها من أراد الله هدايته من خلقه وأن

يكتب لنا ضمها وشارحها الأجر في يوم لقائه إنه سميع الدعاء.

وكان الانتهاء منها في ١٨ من شهر رمضان لعام ١٤٤١ من هجرة نبينا عليه الصلاة والسلام.

وكان ذلك في مدينة القاعدة من بلاد اليمن.

فهرست الموضوعات

المقدمة:	٢
بيان أنَّ الشرك عودة الشرك في هذه الأمة.....	٣
بيان أنَّ الشرك هناك من يدعو له ويزينه وهناك من جند نفسه للدفاع عنه.....	٩
بيان أنَّ لأهل الشرك منهجاً يسرون عليه وكتباً يدرسونها ويقررون بها الشرك.....	١٠
بيان انقسام أهل الشرك إلى قسمين: عباد الشيطان، وعباد الصالحين.....	١١
بيان كثرة عقائد الشرك.....	٢١
بيان أنَّ الشرك والبدع يحلان حيث يحل الجهل.....	٢٢
ذكر الحجج الكثيرة في تحريم عبادة القبور.....	٢٣
النهي عن شد الرجال لزيارة القبور.....	٢٩
إنكار ما يفعله عباد القبور من النذر والإهداء لها وجعل الأوقاف لها.....	٣٢
إنكار ما يفعله عباد القبور من ذبح الذبائح لها.....	٣٩
إنكار ما يفعله عباد القبور من الحج إليها.....	٤١
بيان اعتقاد عباد القبور ألوهية الموتى وإن لم يتلفظوا بذلك.....	٤٣
استنكار ما يفعله عباد القبور من سؤال السقيا من الموتى.....	٤٦
انكار ما يقوم به عباد القبور من الاستنجاد بالموتى.....	٤٨
بيان ما عليه عباد القبور من سؤال الموتى كل شيء ونسيانهم لرب العالمين سبحانه.....	٥٠
بيان الأوصاف المهولة التي يصف بها عباد القبور الموتى مما لا حقيقة له.....	٥١
أعياد عباد القبور في رجب وشعبان.....	٥٩
الفتنة العظيمة بتزيين القبور والبناء عليها.....	٦٠
ذكر بعض ما يفعله عباد القبور عندها من الاعتكاف والرقص والإنشاد.....	٦٢
حال المغني الصوفي في مجلس السماع.....	٦٩
ذكر بعض أحوال سادن القبر.....	٧٥
حال المجاذيب في مجلس السماع.....	٨٠
بيان بعض الأمور المنكرة التي يفعلها عباد القبور عند زيارتها.....	٨٣
تعجب الشاعر من أحوال عباد القبور أين ذهبت فطرهم وعقولهم.....	٨٥
تشبيه الشاعر عباد القبور بالأموات وبيان وجه ذلك.....	٨٨
نصيحة الشاعر لعباد القبور بالتوبة إلى الله من الشرك وأمرهم بتحقيق التوحيد لله تعالى.....	٩٠
ختم الشاعر قصيدته ببيان قبح الشرك وسوء عاقبة أهله.....	٩٢

